

من أحسن القصص

و

أعذب الشعر



تمهيد

فهذا فصل (من أحسن القصص.. ومن أعذب الشعر) جمعت فيه طائفة من القصص الحق الذي لا يأتيه الباطل، ومن الصدق الذي لا يعارضه الكذب؛ لأن القصة أكثر تأثيراً، وأقوى إيقاعاً، وأعظم نفوذاً في ذهن القارئ وقلب السامع؛ ولذلك قال - سبحانه - لرسوله ﷺ: ﴿فَأَقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

وجيلنا بحاجة إلى قصص بريئة، صادقة مؤثرة، لا زيف فيها، ولا انحراف، ولا كذب، ولا افتراء، في عصرٍ راج فيه الزور، وتعاضم فيه البهتان، وكثر فيه الشطط.

كما أن الله - عز وجل - ذكر الشعراء في القرآن، فقال سبحانه وتعالى:

﴿وَالشُّعْرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ .

ولما أنزل الله - عز وجل - هذه الآيات، أتى حسان بن ثابت وابن رواحة وأمثالهما من الصحابة الشعراء بيبكون عند الرسول ﷺ، فقال: ما لكم؟

قالوا: يا رسول الله، ربنا يقول: ﴿وَالشُّعْرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾، ونحن شعراء، فأنزل الله - عز وجل - قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ .

وهناك أسباب عدة جعلتني أطرح هذا الموضوع (من أعذب الشعر)، ومنها:

أولاً: أنه ينبغي للواعظ والخطيب وطالب العلم أن يكون عنده أبيات يتمثل بها، والشعر فيه جمال، وفيه ارتياح وفيه حكمة، وقد صح عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة».

ثانياً: للترويح عن النفوس، فإن الكتب والمحاضرات إذا بقيت كلها جدية وصارمة ملت النفوس، فلا بد من التنويع خوف الملل والسأم.

ثالثاً: حتى يكون هذا الكتاب لمن أراد أن يحفظ بعض القصص الحق، أو بعض الأبيات المنتقاة، فإنه سوف تقرأ في هذا الكتاب مجموعة من القصص والأبيات إن شاء الله، وستكون حاضرة في ذهن الخطيب والواعظ والمعلم والمربي.

وهذا الكتاب عبارة عن: محاضرتين نُشرتا في شريطين سمعيين، وتحت رغبة كثير من الإخوة قدمتا في هذا الفصل الذي هو الآن بين يديكم.

فأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب من كتبه ومن قرأه، كما أسأل الله أن يهدينا إلى ما يحبه ويرضاه، إنه على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.





الرسول المعجز

ومن هذا المنطلق جمعت أحاديث صحيحة - إن شاء الله - لقصص محمد ﷺ، لمعجزاته. لما آتاه الله - عز وجل - من آيات باهرات في الحياة، وهو ﷺ معجز. معجز في شخصه، ومعجز في هيئته، ومعجز في القرآن الذي أتى به، ومعجز في حالاته كلها، بل حتى في جسمه عند بعض العلماء أنه معجز، فقد أوتي قوة ثلاثين رجلاً؛ لذلك فهو مهياً لأن يقود العالم.

كان ﷺ يدور في ساعة واحدة على تسع نسوة من نسائه - عليه الصلاة والسلام - ويفتسل غسلاً واحداً.

ويأتي ﷺ إلى الخندق، والصحابة وهم عشرات ما استطاعوا في صخرة أن يدهدهوها، فنزل وشمر عن ذراعيه فحملها حتى أخرجها.

كان ﷺ يقف في المعركة ولا يفر، وإنما يبقى صامداً حتى آخر لحظة من لحظات المعركة.

من خصائصه عليه الصلاة والسلام

من خصائصه أنه ما كان يتشاءب. التثاؤب من الشيطان، وهو ليس عنده شيطان، ولا يلعب عليه الشيطان، فما كان يتشاءب.

ومن خصائصه - عليه الصلاة والسلام - أنه ما احتلم؛ لأن الاحتلام من الشيطان، والشيطان لا يلعب على الرسول - عليه الصلاة والسلام - أبداً.

عاش ﷺ وأيده الله بالمعجزات.

كان يتيماً، وقد عاش إلى الأربعين، ما درس، ما تعلم، ما قرأ، ما كتب، ما دخل مدرسة، ما تعلم الخطابة، ما درس الفتيا، ما درس أصول السياسة. ما تعلم الإدارة.

وبعد أربعين سنة يبعثه الله فإذا هو أعظم خطيب، وأفصح فصيح، وأكبر إداري،

وأشجع قائد، وأعظم مفت في العمورة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

إن البرية يوم مبعث أحمد

نظر الإله لها فبدل حالها

بل كرم الإنسان حين اختار من

خير البرية نجمها وهلالها

عاش في مجتمع أشبه بالبداوة، ومع ذلك كان من أجمل الناس.

وجاهه كالقمر ليلة أربعة عشر.

إذا جلس الجالس أمامه كأنه يجلس أمام الشمس، أو أمام القمر ليلة أربعة عشر؛ ولذلك إذا صافحه مصافح أثرت أصابع المصافح في جسم الرسول عليه الصلاة والسلام.

قال أنس فيما صح عنه: «مسست كف الرسول - عليه أفضل الصلاة والسلام - فوالله ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كفه».

وقال: «شممت رائحة الرسول - عليه الصلاة والسلام - فوالله ما شممت مسكاً ولا عبيراً أحلى من مسكه - عليه الصلاة والسلام -».

يمر من الطريق فيعرف الناس أنه مرٌّ من طيبه الذي يتصعب من على جبينه الطاهر كاللؤلؤ، كالدر، يوضع في القوارير، أخذته أم سليم فكانت تداوي به المرضى فيشفون بإذن الله.

يخرج في الصباح الباكر بعد صلاة الفجر - عليه الصلاة والسلام - فيهمل يده للناس، فهذا يأخذ يده فيمسح بها على وجهه.

أعرابي يقول: "أخذت يد الرسول ﷺ، فأطلقت زُرري فوضعتها على صدري، فوالله ما زال بردها إلى الآن كالثلج على صدري".



تأتي الجارية بالماء، فيضع يده في الماء للبركة التي وضعها الله فيه، إنه محمد - عليه الصلاة والسلام - وبعد ذلك يقول غلاة أهل التصوف: "أنتم لا تحبون الرسول - عليه الصلاة والسلام-!!".

انشقاق القمر

خرج ﷺ على كفار قريش بعد صلاة، وهم يعرفونه، فهو الذي لم يكذب عليهم كذبة واحدة، ولم يخنهم، فقال لهم:

يا أيها الناس، قولوا: «لا إله إلا الله تفلحوا».

فقام أبو جهل، وقال: من أين أتيت؟!

قال ﷺ: «أرسلني الله».

قال: وما وجد الله إلا أنت يرسلك!!

قال ﷺ: «أرسلني الله».

فحلف أبو جهل ببلاته وعزاه، لا أومن بك حتى تشق هذا القمر.

فقال عليه الصلاة والسلام: «فإن دعوت الله وشق لي القمر.. أتؤمنون؟»

قالوا: نؤمن.

قال: بسم الله، ثم رفع يديه ودعا الله، وسأل الله أن يشق له القمر، فشق الله له القمر ليلة أربعة عشر، أما فلقة فذهبت تجاه عرفات، والفلقة الثانية تجاه جبل أبي قبيس، فقام كفار قريش من الحرم جميعاً رجالاً ونساءً وأطفالاً ينفضون ثيابهم ويولولون، وتتصافق بهم أبواب الحرم، ويقولون: سحرنا محمد، سحرنا محمد، فأنزل الله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقَرٌّ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ *﴾.

ولذلك يوردهم الله يوم القيامة إلى النار، فيقول لهم. والله يستهزئ بهم - وصفة الاستهزاء نثبتها لله على وجه يليق بجلاله - بقيد: إنه يستهزئ بمن يستهزئ به: ﴿أَفْسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ .. ادخلوا النار، أفسح النار، كما كان محمد سحركم في نظركم، أو في القرآن، فيدخلهم النار.

كان - عليه الصلاة والسلام - متهيئاً منذ كان صغيراً. هياؤه لله للدعوة، لأن في قلبه همة ليكون مصلحاً للعالم.

جده عبد المطلب كان له فراشٌ لا يجلس عليه إلا هو، فكان يجعل الفراش في ظل الكعبة، وكان الخدم يمنعون من يحاول الجلوس على هذا الفراش، ولكن محمداً ﷺ وعمره أربع سنوات يأبى إلا أن يجلس على هذا الفراش، فيتبسم عبدالمطلب ويقول: "والبيت ذو النصب، والشفق والحجب، إن لابني هذا سبباً من السبب - يحلف بالشرك - يقول: إنه سيكون له أثر في العالم" ..

نعم.. تقدم فيهم شهماً إماماً، أميناً، صادقاً.

هذا انشقاق القمر معجزة من معجزاته - عليه الصلاة والسلام - رآه أهل الهند، وحتى الرعاة عندما قدموا من جهة العراق والشام، قال لهم كفار قريش: هل رأيتم في الأفق شيئاً؟.. قالوا: قبل ثلاث ليال انشق القمر، ورأيناه يوم انشق، وأرخ علماء الهند تاريخ انشقاق القمر على قصرٍ هناك من قصور ملوكهم، فأرخوا بتاريخهم كتابةً يوم انشق القمر له عليه الصلاة والسلام.

غار ثور

خرج - عليه الصلاة والسلام - من مكة يريد أن يفر بدينه إلى المدينة: لأن المشركين حاصروه، فدخل البيت، فطوقوا البيت بخمسين شاباً، كل شاب معه سيف يقطر دمًا وحقدًا وحسدًا وبغيًا وعنادًا، فأتى الوحي من الله - عز وجل - وأخبر الرسول: أن المشركين أحاطوا بك، فاخرج.

فقال ﷺ: كيف أخرج؟



قال اخرج والله معك، وانثر على رؤوسهم التراب، فلما خرج - عليه الصلاة والسلام - فإذا الخمسون شاباً حول البيت، ولكن الله ألقى عليهم النعاس والنوم، فسقطت السيوف من على رؤوسهم، فتلا ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾.

فأخذ حفنة من التراب - عليه الصلاة والسلام - فذرها على رؤوسهم، ولما قاموا بعد ما طلعت الشمس جعل كل منهم يزيل التراب عن رأسه، فلما بحثوا عنه لم يجدوه في البيت، فخرجوا يجوبون مكة، واتجهوا إلى غار ثور وطوقوه، وفي حديث يُقْبَل في السيرة، أن الله سخر العنكبوت، فبنت بيتها على باب الغار، وجعل الحمامة تبني عشها وتبيض، فأراد الكفار أن يدخلوا الغار فوجدوا عش الحمامة، وبيت العنكبوت، فقالوا: هذا غار ما دُخِل منذ فترة.

ظنوا الحمام.. وظنوا العنكبوت على

خير البرية لم تنسج ولم تحم

عناية الله أغنت عن مضاعفة

من الدروع.. وعن عال من الأطم

فعادوا، وأبو بكر يقول: يا رسول الله، والله لو نظر أحدهم إلى موطن قدميه لرأنا، فيتبسم - عليه الصلاة والسلام - تبسم الواثق الزعيم الذي بإمكانه أن يقود العالم، الذي يدوس الأخطار، ويسحق الصعوبات بإذن الله، فيتبسم ويقول: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

قال أحمد شوقي:

وإذا العناية لاحظتك عيونها

نم فالحوادث كلهن أمان

لذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، فما حزن - عليه الصلاة والسلام - لثقتة بالله.

فخرجوا من الغار، ولحقهما سراقا بن مالك، قال أبو بكر: هذا سراقا أقبل شاهراً سيفه ورمحه، ادع الله عليه يا رسول الله، فتبسم، وقال: ما ظنك بأثنين الله ثالثهما.

فدعا ﷺ على سراقا فغارت أقدام فرسه في الأرض، فقال سراقا للفرس: صه - وهذه الكلمة تقال للفرس عند العرب إذا عثر، ويعني بها انهض - فقام الفرس فركب وأقبل، فدعا عليه، فتعثر مرة أخرى، فقال سراقا: يا محمد، أريد الأمان لا تقتلني - فر من الموت وفي الموت وقع - أراد أن يقتل، فأصبح يطلب النجاة، فاشتراط - عليه الصلاة والسلام - ألا يخبر أحداً من الناس، وأعطاه كتاب أمان، ثم تبسم - عليه الصلاة والسلام - تبسم الواثق من نصر الله له.

وقال: يا سراقا، كيف بك إذا طوّقت بسواري كسرى - وفي بعض الألفاظ وقيصر -.

فضحك سراقا وقال: أنت فارٌّ وصاحبك، وتطارد من مكة، وتملك كنوز كسرى وقيصر!!.

إنها همة بإذن الله لا تمر مر السحاب ﴿صَنَّعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ﴾، فأعطاه الأمان ورجع.

قال كفار قريش لسراقا: ما وراءك؟

قال: فأما طريق يثرب فقد كشفتها لكم فلا تبحثوا هناك.

وقبل أن أكمل، أستطرد قليلاً مع سراقا، فعندما فتح عمر - رضي الله عنه وأرضاه - مملكة كسرى وقيصر، ودك عروش الخيانة، والظلم، والجهالة، والعمالة، والطاغوت، وجيء لعمر - رضي الله عنه وأرضاه - بكنوز كسرى وقيصر من الذهب



والفضة والمرجان ومن لؤلؤ، فأخذها وقال لسراقة: تعال، فألبسه سواري كسرى
وقيصر، فبكى سراقة.

قال عمر: ما لك تبكي، ونحن في يومٍ نصرَ الله فيه الإسلام والمسلمين؟

قال سراقة: والذي نفسي به.. لقد قال لي رسول الله ﷺ يوم طارده: "كيف
بك إذا طوقت بسواري كسرى"، فبكى عمر، وبكى الصحابة: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا
تُبْصِرُونَ﴾.

شاة أم معبد

خرج الرسول ﷺ، ومر بعجوزٍ خزاعية (أم معبد) في خيمةٍ معها عنز مكسورة
في جانب الخيمة.

فقال لها: هل من لبن؟

قالت: غنمنا خلوف، وأبونا مع الغنم.

قال ﷺ: إليَّ بهذه العنز.

فضحكت العجوز وقالت: عنز مكسورة حائل.

قال ﷺ: أحلبها.

فأخذ - عليه الصلاة والسلام - إناءً كبيراً، وقال: بسم الله، فحلب فحلبت، فملاً
الإناء فأعطاه أبا بكر فشربه، ثم ملاًه فأعطى العجوز وشربت، ثم ملاًه فشرب ﷺ، ثم
ملاًه، فجعله عند العجوز فدهشت، وقالت: ما هذا الكلام الذي تقول؟

فتبسم - عليه الصلاة والسلام - وخرج.

يقول شاعر الجن يخبر أهل مكة: لأنهم خرجوا تلك الليلة يبحثون عنه ﷺ، ولم
يعرفوا أين ذهب، بالرغم من أنهم جعلوا عليه حصاراً عالمياً، وغلقوا المنافذ، وأعلنوا حالة
الطوارئ في مكة، فيقول شاعر الجان من على جبل أبي قبيس ينشد:

جزى الله رب الناس خير جزائه

رفيقان حلا خيمتا أم معبدٍ

هما نزلا بالغار وارتحلا به

فأسعد من أمسى رفيق محمدٍ

فيال قصي مات والله عنكمو

به من فعالٍ لا تجازى وسؤددٍ

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها

فإنكمو إن تسألوا الشاة تشهدٍ

وعندما وصل ﷺ المدينة توالى معجزاته، وفائدة عرض المعجزات عدة أمور منها:

١- يزداد إيمانك فتثبت في قلبك شجرة الإيمان، وأكثر ما يزداد الإيمان إذا عرضت معجزات محمد - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - فإنك تزداد إيماناً ورسوخاً كلما سمعت أخباره.

٢- يزيد حبك للرسول ﷺ حباً عظيماً يشاغف القلب، ويدخل إلى الروح.

نسبينا في وداك كل غيالٍ

فأنت اليوم أغلى ما لدينا

يقول عمر: «يا رسول الله - والحديث في البخاري - والذي نفسي بيده إنك أحب إلي من أهلي ومالي إلا من نفسي».

قال ﷺ: «لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك».

قال: «والذي نفسي بيده - وهم إذا حلفوا صدقوا - إنك أحب إلي من نفسي وأهلي ومالي».



قال ﷺ: «الآن يا عمر، الآن اكتمل إيمانك» أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

٣- أن تعلم قدرة الواحد الأحد، فالمعجزات من قدرة الله سبحانه وتعالى.

غمامة المدينة

يصل ﷺ إلى المدينة، ويصعد على المنبر يخطب، والسماء صافية، والشمس لامعة، ترسل أشعتها على الأرض في شدة الحر، ويأتي أعرابي من نحو باب القضاء - والناس في قحط لا يعلمه إلا الله - قال أنس: والله ما في السماء لا سحاب ولا قزعة، قال الأعرابي: يا رسول الله - يقطع الخطبة عليه - جاع العيال، وضاع المال، وتقطعت السبل، فادعُ الله أن يغيثنا، فيتبسم - عليه الصلاة والسلام - ويقطع الخطبة مباشرة، ويرفع يديه:

اللهم أغثنا . اللهم أغثنا . اللهم أغثنا .

قال أنس: والله قبل أن ينزل من على المنبر (وهي لحظات) حتى ثارت من وراء جبل سلع (جبل سلع في المدينة) غمامة كالترس الذي يضعه المقاتل على وجهه حتى احتكمت في سماء المدينة فوق المسجد، ثم ثارت كالجبال ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ فثارت حتى غطت المدينة، فأظلمت، فبرق البارق ورعد الرعد، وأمطرت السماء حتى سال الماء على وجه المصطفى - عليه الصلاة والسلام - وهو يكمل خطبته ويتبسم، ويصلي ويقول: أشهد أني رسول الله.

ونحن نقول له: نشهد أنك رسول الله.

ونشهد أنك صادق.

ونشهد أنك ناصح.

ونشهد أنك أتيت تنقذ العالم.

ونشهد أن الذي لا يتبعك في ضلال مبين.

وأن الذي كذبك أو ردَّ مقالتك في ضلال مبين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ويأتي أعرابي في الجمعة المقبلة، والرسول ﷺ يواصل في خطبة أخرى، وموضوع آخر، وكانت خطبته تسكب الإيمان، كأنه يجري بكوب من الماء في قلوب الموحدين إيماناً، أو كأنه يفرس شجراً.

ما بنى جملة من اللفظ إلا

وابتنى اللفظ أمة من عفاء

المصلحون أصابع جمعت يداً

هي أنت بل أنت اليد البيضاء

ففي أثناء خطبته ﷺ يرفع الأعرابي صوته: يا رسول الله.

فيتوقف ﷺ.

يا رسول الله، جاع العيال وضاع المال - يعني من شدة المطر - وتقطعت السبل، فادعُ الله أن يرفع عنا الغيم.

فيتبسم ﷺ، ولم يقل: «اللهم ارفع عنا الغيم» لأنها ليست من الحكمة، وهذا رحمة من الله.

قال: «اللهم حوالينا - ويقول بيده كذا - اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الظراب وبطون الأودية، ومنابت الشجر».

قال العلماء من الصحابة: والله ما يشير إلى جهة إلا وينصب المطر في تلك الجهة، ويخرجون من المسجد والمدينة كأنها في الجوبة (يعني كأنها في ثوب) الثوب



هذا يوصل الشمس بالمدينة، ولكن ما حولها غيث وصيب نافع ومطر غزير، ولكن المدينة في شمس، فيخرج من المسجد ويقول: أشهد أني رسول الله.

﴿أَفْسَحِرْ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ..

عناية الله

يأتي عامر بن الطفيل - عامر هذا رجل خسيس سيد بني عامر بن صعصعة يقود ألف مقاتل، كل رجل منهم لديه استعداد أن يقتل نفسه في طاعة هذا المجرم الأمير - فأتى عامر بن الطفيل وقال لإربد بن قيس - زعيم آخر أخو لبيد بن ربيعة - قال:

ما رأيك أن نقتل محمداً أنا وإياك؟

قال إربد: نقتله.

قال عامر: نذهب أنا وإياك فإذا وصلنا إلى المدينة أخرجنا محمداً من المدينة، فإذا أصبح معنا في الصحراء، فسوف أشغل الرجل بالحديث، وحينها أقتل الرجل.

قال إربد: ولا عليك.

فأخذا سيفين حادين ماضييين فسمما السيفين حتى أصبح سمّاً زعافاً، وخرجا إلى المدينة، ووصلا إلى الرسول ﷺ، وقالوا: يا محمد، نريدك أن تخرج معنا إلى خارج المدينة، نريدك في أمر مهم، فخرج بردائه.. لا رمح.. لا سيف.. لا عصا.. لا حرس.. لكن عين الله ترقبه.. ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فيبرز إلى الصحراء، فيقول عامر بن الطفيل: تعال يا محمد، اقترب مني، فاقترب - عليه الصلاة والسلام - فأخذ يحدثه وعامر ابن الطفيل يشير إلى إربد - وإربد هذا من أشجع شباب العرب - فسل السيف يريد ضرب الرسول ﷺ، فيشير عامر بعينه يقول: اضرب، فيتوقف، فيحدث الرسول ﷺ ويشير إلى إربد فلا يفعل، فيحدثه ويشير إليه فلا يفعل حتى طال النهار، وفي النهاية ودّعا الرسول ﷺ.

وقال لإربد: لا تصحبنى أنت أجنب الناس، ولا تزال جباناً حتى تموت، لقد

شغلت الرجل عنك، ألا قتلته؟

قال إربد: دعك من هذا - ويقسم - ما رفعت السيف إلا رأيت كالبرق يكاد يخطف بصري، ورأيت كأنك بيني وبينه، أفأقتلك؟!

ولكن الرسول ﷺ بعد أن ودّعه علم الغدر والريبة، فرفع يديه ﷺ إلى السماء وقال: «اللهم اكفنيهم بما شئت».

فأما عامر: فما وصل إلى قرية من القرى في الطريق إلا ونزلت به غدة كبيرة كغدة البعير حتى غطت بطنه، فأخذ يصرخ وهو بعيد عن أهله وقبيلته ويقول: «أغدة كغدة البعير، وفي بيت امرأة سلولية» يقول: أموت في بيت عجوز»، فيحملونه على الفرس فيموت.

وأما إربد فخرج بناقته إلى السوق، وما درى أنه قد خرج إلى حتفه، فيرسل الله عليه صاعقة من السماء فتحرقه هو وناقته.

يا غارة الله شدي السير مسرعة

في أخذ هذا الضتى يا غارة الله

فتحرقه، وتحرق رحله فيصبح في خبر كان.

لقد ذهب الحمار بأمر عمرو

فلا رجعت ولا رجع الحمار

الأسد جندي من جنود الله

ابن أبي لهب - ابن عم الرسول ﷺ - يأتي إلى الرسول ﷺ بخنجر، في الليل، يريد ذبحه، فيمنعه الله ويحميه.

ويروى أن ابن أبي لهب أصيب بشواظ في رأسه، فيعود يولول إلى أهله ويصيح، فيقول - عليه الصلاة والسلام - : " اللهم سلط عليه كلباً من كلابك"، فيخرج ويأتيه الناس فيقولون: يا فلان - قيل: اسمه قصي - .

قال: ما لكم؟



قالوا: سمعنا محمداً يدعو عليك، ويقول: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك.

فيقول ويقول: ما دعا دعوة إلا أصاب.

فخرج هذا المجرم يريد الشام، وكان يدخل بين السرية والقافلة إذا أرادوا أن يخلدوا للنوم.

قالوا: ما لك؟

قال: دعا عليّ محمد، وأخاف أن يسري عليّ كلب في الليل.

وعندما وصلوا إلى وادي حوران في الشام هجعوا، فنام وسطهم، فأتى الأسد - والأسد كلب من كلاب الله، الهزير الذي له عند العرب (تسعة وتسعون) اسماً. سيد الحيوانات - في وسط الليل وأخذ يشم النائمين، ولكنه كان مرسلأً من الله بأوصاف، فكان يشم الرجل فيرى أنه ليس فريسته فيعرض عنه، حتى وصل إلى هذا المجرم فالتقم رأسه لقمة واحدة.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

حتى الجذع يحن إلى الرسول!!

للرسول ﷺ مع الجمادات قصص منها:

ما روى البخاري عن جابر عنه ﷺ، قال لامرأة من الأنصار: «مري ابنك النجار أن يصنع لي منبراً فصنع له ﷺ منبراً يخطب عليه، فلما أتى المنبر الجديد ترك ﷺ الجذع القديم، فنزل ﷺ أول جمعة يخطب، فحن هذا الجذع كصوت العشار - وهو صوت الناقة التي يموت ولدها، وبعضهم يقول ككاء الأطفال - فينزل - عليه الصلاة والسلام - ويقطع الخطبة ويضع يده على العود فيسكته فيسكت بإذن الله.

قال الحسن البصري تعليقاً على الحديث: يا للعجب!! جذع من خشب يحن إلى

الرسول ﷺ وأنتم لا تحنون ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ﴾.

بركة يد الرسول

قال جابر: استندت من اليهود ديناً عظيماً، فأتوا يطلبونني الدين، فما وجدت لهم سداداً، فأتيت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله.. اليهود لهم ديون عليّ وما عندي مال.

قال: عندك تمر؟

قلت: يا رسول الله، عندي تمر قليل، والديون آلاف مؤلفة.

قال: اجمع لي التمر وآتيك.

قال: فجمعت التمر على فراش من خصف النخل، ولكنه كان يسيراً، فأتى ﷺ فسمى ودعا الله، وسمى ودعا الله، وسمى ودعا الله، وقال: يا جابر، ادعُ اليهود وليأخذوا أثمان ديونهم من هذا التمر.

قال: فدعوتهم، فأتوا بجمالهم وحميرهم فأخذوا حتى انتهوا، وقضيت الدين ثم نظرت، فوالله ما كأنما نقص تمره واحدة، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: أشهد أني رسول الله، أخبر عمر بن الخطاب.

قال: فذهبت إلى عمر، فأخبرته فدمعت عيناه.

وقال: لقد علمت أن رسول الله ﷺ لما قام سوف يبارك الله في ذلك التمر.

عناقُ جابر تطعم أهل الخندق

العلم النبوي الأصيل يرسخ المؤمن في الإيمان، ويزيده بصيرةً وفقهاً في الدين، وحباً لله ولرسوله، والمعجزات من أعظم الآيات التي تدل المؤمن على الإيمان وتزيده يقيناً.

الرسول ﷺ مع الصحابة يحضر في الخندق معه سبع مئة، وبهم من الجوع ما لا يعلمه إلا الله. يضع الحجر - عليه الصلاة والسلام - على بطنه من شدة الجوع، فلما رأى جابر (أحد الصحابة) الجوع في وجه الرسول ﷺ ذهب إلى امرأته في

البيت، وقال: عندك طعام؟



قالت: «عندي ما يقارب مد شعير، وعندنا هذه العناقُ (ولد الماعز) التي لا تكفي إلا لثلاثة»، فذبح جابر العناق، وقال لامرأته: «اطحني هذا الشعير واصنعيه لنا طعاماً»، ثم وضع جابر هذه العناق الصغيرة في قدر صغير من فخار، وقامت امرأته تصنع الطعام، وقالت له: «اذهب وادع الرسول ﷺ واثنين معه أو ثلاثة».

قال: أفعل، فأتى المصطفى ﷺ في الخندق واقترب منه، وقال بعدما أخفض صوته: «يا رسول الله، تعال أنت واثنين أو ثلاثة معك - الناس في جوع ومشقة ويتهيئون لإجابة الدعوة - فقام - عليه الصلاة والسلام - فقال: «يا أهل الخندق، إن جابر بن عبد الله صنع لكم طعاماً فهيأ جميعاً» عددهم سبع مئة.

أما جابر فسُقِطَ في يده، فنظر إلى الرسول ﷺ، وهو يقول في نفسه: ما علمت هل يدري أم لا؟! فإله المستعان، فذهب أمام الرسول ﷺ في الطريق ودخل على امرأته يضرب على رأسه، قالت: ما لك؟

قال: الرسول ﷺ، قلت له يأتي باثنين أو ثلاثة فنادى في أهل الخندق جميعاً، وقال: يا أهل الخندق، إن جابر بن عبد الله صنع لكم طعاماً فهيأ أهلاً بكم، وأقبلوا جميعاً، وكانت امرأة جابر عاقلة، قالت: رسول الله أعلم بما يقول، فأتى الرسول ﷺ إلى جابر وإلى امرأته وهو يتبسم؛ لأنه يعلم أن في البيت "حيص بيص"، يعلم أن فيه تغيرات وخوفاً، فيقول ﷺ: يا جابر: لا تنزل اللحم من على البرمة، ولا تنزلوا طعامكم حتى آتي، ثم يتقدم إلى البرمة ينفث بريقه الطاهر الطيب المبارك - بأبي هو وأمي - فينفث في الطعام ويسمي، ثم يقول: يا جابر، ادعُ الناس من عشرة عشرة فيدخل عشرة فبدأوا أكل الجائع في عام القحط، فيقوم العشرة، فيدخل عشرة ثم عشرة ثم عشرة، وكل عشرة يقومون وهذه السنة، فلما قاموا وانتهوا قام ﷺ ودعا جابراً، وقال: تعال وهو يتبسم - عليه الصلاة والسلام - قال جابر: والله ما نقص منها لقمة واحدة، فيقول ﷺ: أشهد أني رسول الله. يا جابر، كل أنت وأهل بيتك ثم تصدق على جيرانك من هذا الطعام، قال: فتصدقنا على جيراننا، فأمسوا على لحم ومرق وطعام. ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ﴾.

ينابيع الماء

خرج - عليه الصلاة والسلام - في إحدى الغزوات، ومعه ما يقارب ألفاً وخمسمئة مقاتل، وعن جابر ألف وأربعمئة مقاتل، معهم خيول وإبل وغنم، وبعضهم عنده بقر، وبعضهم عليه جنابة.

فبينتهي الماء، فيقول: هل من ماء؟

فيأتي أعرابي بدواة صغيرة فيها قليل من ماء، فيأتي الرسول ﷺ بصحفة رحراح (صحن كبير)، فيقول: صب عليّ، فيصب على أصابعه ﷺ، فيدعو الله، فيثور من أصابعه كالنهر.

يقول أنس: يثور من بين أصابعه كالغيث، فتمتلئ الصحفة ويفيض الماء على الأرض، فيأتي هذا فيعبيّ قربته ويذهب، ويسقي هذا فرسه، ويغتسل هذا، ويشرب هذا، حتى ملاً كل المخيم والجيش أو انبيهم، فيقول الرسول ﷺ: أشهد أني رسول الله، فنقول له: نشهد أنك رسول الله. ﴿أَفْسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ﴾.

شجرتان تنالان الشرف

عند مسلم عن جابر قال: ذهب جابر مع رسول الله ﷺ في سفر، - ولحظات الذهاب معه - عليه الصلاة والسلام - أغلى لحظات المسلم، أن يراه أو يجلس معه ﷺ، - قال: فأراد أن يخرج لقضاء حاجته في الصحراء، فقال: يا جابر، تعال، فقام جابر معه، فذهبا إلى الصحراء بعيداً عن الناس. قال: فوقفت بجانبه، فقال - عليه الصلاة والسلام - : يا جابر، اذهب إلى تلك الشجرة وقل لها: يقول لك رسول الله ﷺ تعالي، فيذهب إلى الشجرة فيقول: يقول لك رسول الله تعالي - ومن أراد أن يتوسع في هذا فليراجع المجلد الثامن من كتاب (قدرة الله) لابن تيمية - فتشق الشجرة الأرض شقاً مع جابر حتى تقف عند المصطفى - عليه الصلاة والسلام - فلما وقفت، قال: اذهب إلى تلك وقل لها تعالي، فيذهب جابر ويقول: إن الرسول ﷺ يقول: تعالي، فتشق الأرض حتى تصل إلى الرسول ﷺ، فيقضي ﷺ حاجته، ثم يقول: يا جابر، قل لهما اذهبا، فيقول: اذهبا، فتذهب كل شجرة إلى مكانها.



يقول جابر- وهو يروي الحديث إلى الصحابة - : والذي أعطاني بصري وأخذه لقد رأيتهما تشقان الأرض شقاً.. ﴿أَفْسَحِرْ هَذَا أُمَّ أَنْتُمْ لَا تَبْصِرُونَ﴾.

نشهد أنك رسول الله، وأنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة.

قطرة دم تقتل أبي بن خلف

يقف - عليه الصلاة والسلام - في معركة أحد، فيقول الصحابة: يا رسول الله، أحد المشركين من قريش اسمه أبي بن خلف أقسم أن يقتلك، قال: أنا أقتله إن شاء الله.

وأبي بن خلف قال لكفار قريش: يا قريش، اعفوني من القتال يوم أحد وأنا أقتل لكم محمداً، فأخذ سيفاً ورمحاً وخنجرًا فسمها جميعاً، فلما انتهت المعركة وأصيب الرسول ﷺ بالجراح، وأصبح فاتراً من كثرة ما قاتل هو وأصحابه، انحدر أبي بن خلف على فرسه من الجبل، فصلى - عليه الصلاة والسلام - بالمسلمين صلاة العصر، وبه من التعب والإعياء ما لا يعلمه إلا الله، فلما سلم من الصلاة إذا بهذا المجرم منحدرًا من الجبل يريد الرسول ﷺ، فقام الصحابة يريدون أن يعترضوه، والصحابة من أشجع الناس مهاجرين وأنصارًا، قال ﷺ: دعوه، أنا أقتله إن شاء الله، أعطوني حربة، فناولوه الحربة، وذلك المجرم يعلم أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - أو أن الصحابة سوف يرمونه فجعل على جسمه درعين، درعاً أعلى، ودرعاً أسفل، وما ترك إلا كالدهرم، فاقترب من الرسول ﷺ، فهز ﷺ الحربة، وقال: بسم الله، ثم أرسلها فأصابته هدفها فقطرت قطرة دم فوق بين رجلي فرسه فحمله الكفار يسحبونه قالوا: ما عليك.. ما عليك، إنما هي قطرة دم، قال حالفاً: لو كان بأهل سوق المجاز هذه القطرة لماتوا جميعاً، فمات بعد ليلة واحدة.

وهذه من معجزاته عليه الصلاة والسلام.

مهمة سرية تضمن لحذيفة الجنة

يأتي ﷺ في ليلة مظلمة بعد أن حضر الخندق وهبت ريح شديدة، وأظلم الليل وتحزب الأحزاب حول المدينة، فيقول - عليه الصلاة والسلام - : «من يأتيني بخبر

القوم (يعني الكفار) وله الجنة؟ فيسكت الناس، فهم في جوع وفي خوف وفي قتل، واللييلة مظلمة، حتى يقول حذيفة: والله إني أمدُّ يدي فما أراها.. ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا﴾.. قال - عليه الصلاة والسلام - : «من يذهب إلى الكفار، وأضمن له الجنة؟، فسكتوا جميعاً، فقال ﷺ: أين حذيفة؟ - وهو وسط الناس جائع، وهم في قتال في خوف - فقلت: أنا يا رسول الله.

قال: اذهب إلى القوم.

يقول: سمعاً وطاعة.. لبيك يا رسول الله وسعديك، فقمتم وأنا أكاد أن أهلك من البرد، ولما استويت واقفاً ذهب عني ذلك البرد، وكأني تحت الشمس، ببركة الرسول ﷺ، فذهبت.. مرة أحبو، ومرة أمشي، حتى نزلت من عند الخندق، فأتيت إلى القوم وهم في شر ليلة، الرياح ما تركت لهم قدراً إلا كفأته على الأرض، ولا خيمة إلا اقتلعتها، ورأيت أبا سفيان وحوله قادات المشركين، فسمعت أبا سفيان يقول:

يا أيها الناس، إني لا آمن من محمد أن يرسل علينا جاسوساً، إني لا آمن من محمد أن يرسل علينا في هذه الليلة الظلماء، فليتفقد كل واحد منكم من بجانبه أو صاحبه.

فأسرعت قبل أن يبادرني من كان بجانبني، وقلت لمن كان على يميني: من أنت؟ قال: فلان، ثم التفت على من كان على يساري، وقلت له: من أنت؟

قال: فلان، قلت: اسكتا - سكتاً إلى غير رجعة - فلما سكتا رجع حذيفة في الليل فأخبر الرسول ﷺ فضمن له الجنة.

كنوز كسرى وقيصر

نزل - عليه الصلاة والسلام - إلى الخندق، وإذا بصخرة من أعظم الصخرات في داخل الخندق بركت وقد عجز الصحابة عن قلعها، فقالوا: يا رسول الله، هذه الصخرة أتعبتنا، فأخذ ﷺ المعول بيده الشريفة، فنزل - عليه الصلاة والسلام - فضرب أول ضربة فلمع بارق في السماء، وانكسرت الصخرة،



قال: لقد رأيت قصور كسرى وسوف يفتحها الله، وضرب ضربة أخرى فلمع بارق في السماء. قال: لقد رأيت قصور قيصر وسوف يفتحها الله، وأريت الكنزين الأبيض والأحمر (الفضة والذهب) وسوف تغنمها أمتي أو تستولي أمتي أو كما قال ﷺ: فيخرج - عليه الصلاة والسلام - وقد كسر الصخرة، والمنافقون يضحكون ويتغامزون - انظر إلى النفاق، أعوذ بالله منه، وهم في الدرك الأسفل من النار، قالوا: محمد يميننا بملك كسرى وقيصر والواحد منا لا يستطيع أن يبول بين النخل من الخوف - ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾، وبعد سنوات تمتلك أمته ﷺ قصور كسرى وقيصر.... ﴿أَفْسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾.

وما علمناه الشعر

كان - عليه الصلاة والسلام - يستشهد أحياناً بالأبيات، وهو ليس بشاعر، والله يقول:

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ ..

لأنه لو كان ينظم الشعر، لقاتل قريش: القرآن نظمه. جل كتاب الله عن الافتراء..

﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾،

فكيف لو كان ينظم الشعر!!

وكان أحياناً إذا استشهد بالأبيات - عليه الصلاة والسلام - كان يكسرهما - ما كان يأتي بها مستقيمة ﷺ، وهو أفصح الناس.

قسم الغنائم بين سادات العرب، فأعطى سيد غطفان عيينة بن حصن مئة ناقة، وأعطى سيد بني تميم مئة ناقة، وأعطى عداس بن مرداس خمسين ناقة، وهذا سيد مثل سابقه، ولكن لماذا نقصه خمسين ناقة؟.. لأنه انتهى العدد عند الرسول ﷺ، فوجد في نفسه هذا الرجل، فعمل أبياتاً وقال:

أتجعل نهبي ونهب العبيد

بين عيينة والأقرع

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ

يفوقان مرداس في مجمع

يقول لماذا تعطيني أقل منهما؟!، وأبواهما ما كانا يفوقان أبي في المجمع

العامّة، فتبسم - عليه الصلاة والسلام - وأخذ يردد الأبيات ويقول:

أتجعل نهبي ونهب العبيد

بين الأقرع وعيينة

والبيت: (بين عيينة والأقرع) حتى يستقيم، فتبسم أبو بكر، وكان رجلاً أديباً

فصيحاً، وقال: صدق الله ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾، فما كان يحفظ الأبيات.

سبحان الله! هذا الكتاب العظيم الذي أنزله الله عليه، وهو لا يكتب ولا يقرأ،

ومع ذلك كل القرآن في صدره.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ

آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

سبحان الله - ما كان يعرف يكتب: محمد بن عبد الله، وإذا قلت له:

اكتب: بسم الله، ما استطاع، ومع ذلك أتى بهذه الحكمة، وهذه الشريعة، وهذا

الدستور وهذا الحديث - عليه الصلاة والسلام - وما يسقط حرفاً من القرآن، ومع

ذلك ما كان يحفظ الشعر.



صاعقة حسان بن ثابت

توَعَّدَ حسان بن ثابت المشركين في قصيدة رنانة طنانة قوية ساحقة في غزوة الفتح.

يقول حسان في قصيدته البديعة، جَمَلُ الله حياته، وقد فعل وبيض الله وجهه، يقول:

عَدِمْنَا خَيْلَنَا، إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
تُثِيرُ النَّقْعَ، مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

يقول:

اللهم لا تجعل خيلنا تعود علينا إذا ما نثرت الغبار على رؤوس المشركين.
تَظَلُّ جِيَادُنَا مَتَمَطَّرَاتٍ،
تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النَّسَاءُ

ثم التفت إلى أبي سفيان، وقال:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفءٍ
فَشَرَكَمَا لَخَيْرِكَمَا الْفِدَاءُ
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتَ عَنْهُ
وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفءٍ

فَشَرَكَمَا لَخَيْرِكَمَا الْفِدَاءُ

هَجَوْتُ مَبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا

أَمِينُ اللَّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ

وَيَمْدَحُهُ وَيَهْجُوهُ سِوَاءُ

فإن أبي ووالده وعرضي

لعرض محمد منكم وقاء

فكان جزاؤه الجنة، وقد كان - عليه الصلاة والسلام - يقرب المنبر لحسان في المسجد ويقول: اجلس اجلس.. اهجهم وروح القدس يؤيدك.

يقول: اهج المشركين ومعك جبريل يؤيدك، فكان حسان ما يحضّر في البيت القصائد، ولا يتذكر، وإنما يجلس على المنبر ويأتيه الشعر مثل السيل، فلمّا قال قصيدته القوية عن المشركين أتى بعد سنة ففتح الرسول عليه الصلاة والسلام مكة - وأسقطها في يديه من أربعة أماكن. خالد بن الوليد من جهة، والزبير من جهة، وسعد بن عباد من جهة، والرسول - عليه الصلاة والسلام - من جهة، وفجأة وإذا بخيل خالد تدخل وتخرق مكة، ويخرج النساء مثل الصورة التي ذكرها حسان في الأبيات:

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطَّرَاتٍ،

تُلَطَّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النَّسَاءُ

فخرج نساء مكة يضربن الخيول بالخمير من المصيبة، فتبسم ﷺ لما رأى هذا الحادث، فيقول لأبي بكر وهو حوله:

"كيف يقول حسان؟"

قال: يقول يا رسول الله:

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطَّرَاتٍ،

تُلَطَّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النَّسَاءُ

نصر موسى عليه السلام

أتى عبد الله بن رواحة إلى الرسول ﷺ، وقال:



يا رسول الله، اسمع مني أبياتاً قلتها فيك.

قال: قل.

قال ابن رواحة:

فثبت الله ما آتاك من حسن

تثبيت موسى، ونصراً كالذي نُصروا

قال: "وإياك فثبت".

يقول: أسأل الله أن يثبت ما آتاك من حسن، مثلما ثبت موسى - عليه الصلاة

والسلام - ونصراً مثلما نصر موسى.

قال عليه الصلاة والسلام: "وإياك فثبت".

فثبته الله حتى مات شهيداً.

ذكريات محزون

استقبل - عليه الصلاة والسلام - قبائل العرب، فدخل النابغة الجعدي -

الجعدي اسمه أبو ليلي - فجلس عند الرسول ﷺ، وهو في الثمانين من عمره،

فقال: يا رسول الله، عندي أبيات نظمها فيك.

قال: قل.

وهذا الرسول ﷺ واسع الصدر، حلیم.

بعض الناس تجده ضيقاً لا يسمع الدعابة، ولا يسمع القصائد، ولا يسمع

سوالف الناس، لكن هذا البحر الحلیم الذي بعثه الله - عز وجل - رحمة للناس

يسمع أخبار الناس؛ لأن الإنسان يتأثر، فلذلك من أدب الدعوة أن تستمع إلى الناس

في أخبارهم وقصصهم هذا من اللطف.

يقول جابر بن سمرة:

كان ﷺ يجلس معنا بعد الفجر في المسجد فنتحدث في أخبار الجاهلية فيستمع ويضحك ويبتسم، وروي عنه - عليه الصلاة والسلام - أن الناس إذا تحدثوا في الدنيا تحدث معهم، وإذا تحدثوا في المال تحدث معهم حتى إذا جاءت الغيبة يسكت ويأمر الناس بالسكوت. هذا هو أدبه ﷺ.

قال النابغة: قلت يا رسول الله فيك أبياتاً.

قال ﷺ: قل.

فقال النابغة:

تذكرت والذكرى تهيج على الفتى

ومن عادة المحزون أن يتذكرا

قال ﷺ: هيه (يعني زدني).

فقال:

فلما كسرنا النبع بالنبع لم تكن

على البعد في عيدانه أن تكسرا

(يمدح قومه) يقول:

سقيناهم كأساً سقونا بمثلها

ولكننا كنا على الموت أصبرا

وننكر يوم الروع ألوان خيلنا

من الضرب حتى نحسب الشقر أحمرا

يقول: يوم الهول نقاتل الأعداء حتى تتلطح خيولنا البيض بالدم، حتى نظن

الشقراء حمراء مصبوغة، ثم يقول:



بلغنا السما جوداً ومجداً وسؤدداً

وإننا لنرجو فوق ذلك مظهراً

يقول يا رسول الله: أنا وقومي بلغنا السماء من الكرم، وعسانا نبلغ فوق السماء، فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال:

"إلى أين يا أبا ليلى؟ .. يقول إذا اخترقت السماء أين تذهب؟

قال: إلى الجنة يا رسول الله.

قال - عليه الصلاة والسلام -: "لا فض فوك".

فبقي مئة وعشرين سنة ما سقط له ضرر ولا سن بدعوة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

أسلم شعره وكفر قلبه

عند مسلم في الصحيح عن عمرو بن الشريد، قال:

«ركبت خلف الرسول - عليه الصلاة والسلام - على بغلته ردفه - وراءه مباشرة. ملاصق جسمه جسمي - فلما مشينا قليلاً - انظر: من هو هذا الراكب؟. رسول الهدى - عليه الصلاة والسلام - معلم البشرية. سيد الخلق. شفيع الناس يوم القيامة. الذي ما خلق الله أفضل منه -.

قال لي: يا عمرو بن الشريد، أتحفظ لأمية بن الصلت شعراً؟! - أمية ابن الصلت من أهل الطائف مات كافراً، آمن شعره وكفر قلبه؛ لأنه كان يرجو أن ينزل الله عليه النبوة، فلما جعل الله النبوة في الرسول - عليه الصلاة والسلام - حسده وكذب دعوته ومات كافراً -.

قال: أتحفظ له شعراً؟

قلت: نعم، يا رسول الله.

قال: هيا أنشدني.



فأنشدته بيتاً من أبيات أمية بن الصلت:

شهدت بأن وعد الله حق

وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف

وفوق العرش رب العالمينا

فليته استمر، ولكن نسأل الله لنا ولكم الثبات.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

قال ﷺ: هيه.

حتى أنشدته مئة بيت.

مكره أخاك لا بطل

الشعر الجميل لا بأس أن ينشد، ويستشهد به، فإنه يدعو الكريم إلى الكرم، ويحجب البخيل عن البخل، ويدعو الذليل أو الجبان أن يعود إلى المعركة.

يقول معاوية بن أبي سفيان:

والله لقد كدت أفر يوم صفين ما حبستني إلا بعض الأبيات.

التقى هو وعلي بن أبي طالب يوم صفين، فارس الصف الأيمن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، وفارس الصف الأيسر معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما وأرضاهما - وجمعنا بهما في الجنة، فلما التقيا خرج علي رضي الله عنه - وأنتم تعرفون من هو علي بن أبي طالب - خرج بالسيف وخلع درعه من علي جنبه، وقال: من يبارز؟



وخلع الدرع علامة الشجاعة. بل أقصى الشجاعة، إذا خلع البطل من العرب درعه فليس هناك أشجع منه.

ولما قال: من يبارز. هابه الناس.

كان أهل الشام ثمانين ألفاً ما استطاع أحد أن يبارزه.

قال: من يبارز؟

قال الناس لمعاوية: نسألك بالله أن تبارزه.

قال ما أستطيع، لو كان غير علي ل فعلت، لكن من يبارز أبا الحسن؟

قال معاوية: يا عمرو بن العاص، قم بارزه.

قال: لا.

قال: عزمت عليك أن تبارزه - والمبارزة هي المصارعة قبل المعركة أمام الناس.

فقام عمرو بن العاص، فلما رأى علي بن أبي طالب ألقى سيفه في الأرض،

وقال:

"مكره أخاك لا بطل"، وهو أول من قال هذا المثل.

ولما بدأت المعركة انهزم في أول اليوم معاوية، وفر ببغلتته، فلما أصبح وحده في

الصحراء تذكر أبياتاً لابن الأحناب الحجازي، يقول:

وقولي كلما جَشَّأت وجاشت

مكانك تحمدي أو تستريحي

واعطائي على المكروه مالي

وضربي هامة البطل المشيح

إلى آخر ما قال. قال: فتذكرت هذه الأبيات فعدت للمعركة، وتم وما تم.

متى استعبدتم الناس؟

روى أهل التفسير أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يتفقد أمراءه وولاته.

وقد كان يرسل الجواسيس ليعرف هل يغدرون؟.

هل يخونون؟.

هل يظلمون؟.

هل يؤدون حقوقهم؟.

حتى يحاسبهم يوم عرفة. يوم الحج الأكبر. يجمع الحجاج، ويأتي بالأمراء. فيقول: يا أهل العراق، ماذا ترون في أميركم؟ - والدرّة في يد عمر للمحاسبة والجلد.

فإن جلدوا أناساً. جلدهم عمر، وإن أخذوا الأموال ردها، حتى جاءه رجل مصري من بين الناس، قال: يا أمير المؤمنين، أشكو إليك ابن أميرك في مصر محمد بن عمرو بن العاص.

قال: ماذا فعل؟

قال: سابقته بفرسي وهو على فرسه فسبقته فضربني، وقال: أتسبقني وأنا ابن الأكرمين !!

قال عمر: أوّه!... يعني: (ما هذا ديكتاتورية، بسبب أن فرسك سبقت فرسه يضربك)..

إليّ به. فأتوه به.

فقال: قف هنا، فوقف.

قال: إليّ بعمرو بن العاص، فأتوا به.

قال للصحابة: والله الذي لا إله إلا هو: لا يحول بيني وبينهما أحد - وإذا حلف

عمر حلف -



حتى وضعت يميني ما أنازعها

في كف ذي نضحات قوله القيل

فأخذ الدرة (العصا)، ثم أتى بعمر بن العاص، فأمسكه باليسرى وأخذ يجلده، ويقول: "متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟"، ثم ضربه وأخذ على ابن الأكرمين فتوطاه وجعل ركبته على صدره، فضربه، وقال للمصري: هل رضيت؟ قال: نعم، رضيت يا أمير المؤمنين.

فمن مبلغ الحسنة؟!؟

روى أهل التفسير أن عمر - رضي الله عنه وأرضاه - ولّى الصحابي النعمان ابن عدي. ولأه على ميسان قريب من البصرة.

وفي ليلة من الليالي أخذ ينشد أبياتاً، وهو رجل صالح، ولكن فلتت منه أبيات، وما يدري أن هذه الأبيات سوف تبلغ عمر في المدينة ويحاسبه عليها. يقول:

فمن مبلغ الحسنة أن حليلها

بميسان يسقى في زجاج وحنتم

فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني

ولا تسقني بالأصغر المتثلتم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه

تنادمنا في الجوسق المتهدم

يقول: من يبلغ زوجتي في المدينة أني أشرب الخمر في الحنتم؟ فبعدما كنت أشرب اللبن والماء من الله عليّ بالإمارة حتى أصبحت أشرب في الزجاج الخمر.

ويقول: ربما لو بلغت هذه الأبيات عمر ساءه، وغضب علينا عندما نتنادم في الجوسق (الخيمة المتهدمة الأطراف).

ولكن هذه الأبيات بلغت، فقال عمر: إليّ به، فوفد، فأخذ عمر العصا، وقال:
من الذي يقول؟

من مبلغ الحسناء أن حليلها

بميسان يسقى من زجاج وحنتم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه

تنادمننا بالجوسق المتهدم

قال: أنا يا أمير المؤمنين.

قال عمر: والله لقد ساءني، فكيف تقول هذا؟ عليك حد شارب الخمر.

قال: يا أمير المؤمنين، والله ما شربتها، والله لا تدخل لي بطناً، وأسأل الله أن
يقتلني شهيداً، والله يقول:

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ
مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

قال عمر: أما هذا فقد أسقطت الحد عنك بهذه الآية، ولكن والله لا تلي لي
إمرةً بعدها أبداً، فعزله، فذهب، وقتل في تستر شهيداً في سبيل الله.

بيت شعر يعصم الدماء

اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول ﷺ يريدون الخلافة:
لأنهم كانوا يظنون أن الخلافة في الأنصار، فهم الذين نصرُوا الرسول - عليه الصلاة
والسلام - بينما الخلافة لا تكون إلا في قريش، فأتى عمر، وقال:

يا خليفة رسول الله، أدرك الأنصار في سقيفة بني ساعدة، فذهب أبو
بكر وعمر وأبو عبيدة، فدخلوا عليهم وهم مجتمعون، فحاول عمر أن يتكلم فما
سمعوه، فقام أبو بكر يتكلم، وكان فصيحاً نسيباً لين القول، فقال:



اسكتوا أيها الناس، فسكتوا. قال:

أويتمونا ونصرتمونا وأكرمتمونا وواسيتمونا، والله ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال
طفيل الغنوي في قبيلة بني جعفر، يستشهد بأبيات عَلَّ الله أن يهديهم. انظر ما
أحسن الأبيات. قال:

جَزَى اللهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أزلَفَتْ

بِنَا نَعْلَنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَرَزَلَتْ

هُمُ خَلَطُونَا بِالنَّفُوسِ وَالْجَوْوَا

إِلَى حُجَرَاتِ أَدْفَاتٍ وَأَظْلَتْ

أَبَوَا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمْنَا

تُلَاقِي الَّذِي يَلْقَوْنَ مِنَّا مَلَّتْ

فَدُوُ الْمَالِ مَوْفُورٌ وَكُلُّ مُعَصَّبٍ

إِلَى حُجَرَاتِ أَدْفَاتٍ وَأَظْلَتْ

وَقَالُوا هَلُمَّ الدَّارَ حَتَّى تَبِينُوا

وَتَنجَلِي الْعَمِيَاءِ عَمَّا تَجَلَّتْ

وَمَنْ بَعْدِمَا كُنَّا لَسَمَى وَأَهْلِيهَا

قَطِينًا وَمَلَّتْنَا الْبِلَادُ وَمَلَّتْ

سَنَجْزِي بِإِحْسَانِ الْأَيَادِي الَّتِي مَضَتْ

لَهَا عِنْدَنَا مَا كَبَّرَتْ وَأَهَلَّتْ

فلما سمعوا الأبيات دعوا لأبي بكر، وسمعوا كلامه، ثم بايعوه بالخلافة.

يقول عمر: يعجبني الرجل أن يقدم أبياتاً بين يدي حاجته؛ ولذلك فإن الشحاذ
الآن عند السلطان إذا أراد شيئاً من الدنيا ينظم ستين بيتاً: أنت يا بركة العصر، ويا
فاتح الدنيا، ويا خاتم الرسل، ويا روح القدس، فيعطيه، فلذلك أهل الحق أولى.

كأنك في جفن الردى

الله أرسل موسى وهارون فلما أصبحا في الطريق نبههما الله، قال:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.

والشعر سحر يقلب المعايير، فأحياناً يكون الظالم مظلوماً، والمظلوم ظالماً بسبب الأبيات والبيان.

يقولون: إن سيف الدولة بن حمدان بطل من أبطال المسلمين، كان في حلب. قاتل الروم ما يقارب من ستين معركة وانتصر فيها جميعاً، وهو الذي يقول فيه المتنبّي وهو يمدحه:

وقضت وما في الموت شك لواقف

كأنك في جفن الردى وهو نائم

يقول: - سبحان الله - كأن الأسد نائم وكأنك في جفنه!!، كيف لم تمت وأنت دائم المعارك!!

﴿قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبِّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَدِنَا فْتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ فالجبناء يموتون، وأما الشجعان فتوهب لهم الحياة.

يقول أبو بكر الصديق لخالد:

«اطلب الموت توهب لك الحياة».

يقول دوماً: «حاول أن تلقي بنفسك في المعارك توهب لك الحياة».

وخالد بن الوليد خاض مئة معركة ومات على فراشه، حتى قال:

«يا ليتني مت شهيداً، فوالله ما في جسمي شبر إلا به طعنة برمح، أو ضربة

بسيف، أو رمية بسهم في سبيل الله».



تسعون معركة مرت محجلة

من بعد عشر بنان الفتح يحصيتها

فخالد في سبيل الله مشعلها

وخالد في سبيل الله مذكيتها

فالمقصود يقول المتنبى لهذا البطل المسلم:

وقفت وما في الموت شكٌ لواقفٍ

كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمربك الأبطال كلى هزيمة

ووجهك وضاح وثغرك باسم

يقول: تتبسم في المعركة والأبطال أسارى أمامك مقيدون بالسلاسل. الأعداء

يمرون أمامك وأنت تتبسم، ثم يقول:

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة

كما نثرت فوق العروس الدراهم

يقول نثرت الأبطال فوق الجبل مثلما تنثر الدراهم على العروس.

والقصيدة طويلة ومنها:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ

وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا

وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَائِمُ

يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ

وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيُوشُ الْخِضَارُمُ

وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ
 وَذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيهِ الضَّرَاعِمُ
 يُفْدِي أْتَمُّ الطَّيْرِ عُمراً سِلَاحَهُ
 نُسُورُ الضَّلَا أَحْدَاثُهَا وَالْقَشَاعِمُ
 وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بَغَيْرِ مَخَالِبِ
 وَقَدْ خَلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ
 هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تُعْرِفُ لُونَهَا
 وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ
 سَقَتْهَا الْغَمَامُ الْغُرُقُ قَبْلَ نُزُولِهِ
 فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا الْجَمَاجِمُ
 بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا يَقْرَعُ الْقَنَا
 وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاظِمُ
 وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ
 وَمِنْ جُثِّ الْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمُ
 طَرِيدَةٌ دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدَتْهَا
 عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِيِّ وَالِدَهْرُ رَاغِمُ
 تَضَيَّتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذَتْهُ
 وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ
 إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضَارِعَا
 مَضَى قَبْلَ أَنْ تَلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ



وَكَيْفَ تُرَجِّي الرُّومَ وَالرُّوسَ هُدْمَهَا

وَذَا الطَّعْنَ أُسَاسُ لَهَا وَدَعَائِمُ

وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَايَا حَوَاكِمُ

فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمٌ

أَتَوَكَّ يَجُرُّونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّمَا

سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهْنُ قَوَائِمُ

إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ

ثِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ

خَمِيسٌ بَشْرُقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ

وَفِي أُذُنِ الْجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ

تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ

فَمَا تُفْهَمُ الْحُدَاثُ إِلَّا التَّرَاجِمُ

لجام النفس

ودعا سيف الدولة المتنبّي، فقال:

نريد أن نخرج لغزوة، فأخذ فرسه، وقال:

أُصْرَفُ نَفْسِي كَمَا أَشْتَهِي

وَأَمْلِكُهَا وَالقَنَا أَحْمَرُ

يقول: عندما تكون السيوف تقطر دمًا فإنني أملك نفسي في المعركة ولا أفر.

ويقول:

رِضَاكَ رِضَايَ الَّذِي أُوتِرُ
 وَسِرُّكَ سِرِّي فَمَا أُظْهِرُ
 كَفَتِكَ الْمُرُوءَةَ مَا تَتَّقِي
 وَأَمَّنَكَ الْوُدُّ مَا تَحْذَرُ
 وَسِرُّكُمْ فِي الْحَشَا مَيِّتٌ
 إِذَا أَنْشِرَ السَّرُّ لَا يُنْشَرُ
 كَأَنِّي عَصَتُ مُقَلَّتِي فِيكُمْ
 وَكَاتَمَتِ الْقَلْبَ مَا تَبْصِرُ
 وَأَفْشَاءُ مَا أَنَا مُسْتَوْدَعٌ
 مِنَ الْغَدْرِ وَالْحُرِّ لَا يَغْدِرُ
 إِذَا مَا قَدَرْتُ عَلَى نَطْقَةٍ
 فَإِنِّي عَلَى تَرْكِهَا أَقْدِرُ
 أَصْرَفُ نَفْسِي كَمَا أَشْتَهِي
 وَأَمْلِكُهَا وَالْقَنَا أَحْمَرُ
 دَوَالِيكَ يَا سَيْفَهَا دَوْلَةٌ
 وَأَمْرَكَ يَا خَيْرَ مَنْ يَأْمُرُ
 أَتَانِي رَسُولُكَ مُسْتَعْجِلًا
 فَلَبَّاهُ شِعْرِي الَّذِي أَذْخَرُ
 وَلَوْ كَانَ يَوْمٌ وَعَى قَاتِمًا
 لَلَبَّاهُ سَيْفِي وَالْأَشْقَرُ
 فَلَا غَفْلَ الدَّهْرِ عَنْ أَهْلِهِ
 فَإِنَّكَ عَيْنٌ بِهَا يَنْظُرُ

إلى آخر ما قال، وهذه من إبداعاته الشعرية الجميلة.



بيت شعر يدمر غطرسة صاروخ

اليمن هذا الشعب المسلم هاجمته بريطانيا قبل سنوات . هاجمته من عدن تريد احتلال اليمن، فدخلت بالدبابات، وأتت بالطائرات ترشق هذه المدن المسلمة، وتضرب صنعاء، فأتى أحد العلماء وقال لخطيب الجامع في صنعاء:

أريد منك الخطبة هذا اليوم أقدم قسيده للناس .

قال: خذها .

فجاء بالخطبة كلها قسيده طنانة رنانة رائعة، يقول فيها يخاطب الشعب لكي يحمسهم لقتال بريطانيا، وقد كانت الطائرات في أثناء الخطبة ترمي القصور، وترمي الشوارع بالصواريخ والقنابل، فيقول:

يا بريطانيـا رويداً رويداً

إن بطش الإله كان شديداً

انظر إلى قوة الاتصال مع الله ﴿ إِنَّ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

يا بريطانيـا رويداً رويداً

إن بطش الإله كان شديداً

إن بطش الإله أهلك فرعون

وعاداً من قبلكم وثموداً

لا تظنوا هدم المدائن يودي

عزمننا أو يلين بأساً صلوداً

لا تحسبوا إذا هدمتم المدائن أننا نموت..

إن تبديدوا من البيوت

بطيارتكم ما غدا لدينا مشيدا

فلنا في الجبال تلك بيوت

صنعتها أجدادنا لن تبيدا

فالنزال النزال إن كنتم

ممن لدى الحرب لا يخاف البنودا

يقول للطيارين في الجو: انزلوا إن كنتم رجالاً شجعاناً، انزلوا لنا في الأرض،
لأنهم يقولون في المثل العربي:

”مر ذئب من سكة وتيس على سقف البيت، فأخذ التيس يتوعد الذئب، ويقول:

إما تتأدب وإلا نزلت عليك، فيقول الذئب للتيس:

«والله ليست شجاعتك، ولكن مكانك هو الذي شجعك»، يعني مكانك لأنك فوق
السقف وأنا في الشارع.

ولذلك بعض الناس إذا تربع على الكرسي أصبح شجاعاً:

ستعرف حين ينقشع الغبار، أتحتك فرس أم حمار.

فالمقصود بقول هذا الشاعر اليمني:

انزلوا من الطائرات، نحن لا نعرف كيف نصعد للطائرات، ولكن نعرف كيف
نقاتل في الأرض.

فالنزال النزال إن كنتم

ممن لدى الحرب لا يخاف البنودا

لتروا من يبيت منا ومنكم

موثقاً عند خصمه مصفودا

ما خضعنا للترك..

تركيا الدولة العثمانية دخلت البلاد إلا اليمن..

ما خضعنا للترك مع قريهم

في الدين منا فكيف نرضى البعيدا



وهم في الأنام أشجع جيشاً

فاسألوهم هل صادقون فهوذا

افترجوا إنكلترا من بلاد

الله تباً لسعيها أن تبيدا

يا بني قومنا .. (انظر إلى النداء الخالد كأنه نداء إلى الجنة)

يا بني قومنا سراعاً إلى الله

فقد فاز من يموت شهيداً

سارعوا سارعوا إلى جنةٍ

قد فاز من جاءها سعيداً شهيداً

والبسوا حلة من الكفن الغالي

وبيعوا الحياة بيعاً مجيداً

وبعد قصيدته هذه خرج ما يقارب مائة ألف مقاتل، وسحقوا قوات بريطانيا

ولم تدخل اليمن.

هي الأمة إذا اعتصمت بالله عز وجل.

جوهر الكلام

علي بن موسى الرضي من أولاد أولاد علي بن أبي طالب، كان ولي العهد

للمأمون في الدولة العباسية، وكان رجلاً فيه خير كثير، وكان رئيساً سلطاناً مطاعاً،

ف قيل للحسن بن هاني أحد الشعراء:

«مدحت الوزراء كلهم إلا ابن علي بن أبي طالب، وهو الذي يستحق المدح، فقال

فيه مقطوعة من أجمل ما قيل، ويقال هي من أمدح ما قيل:

قيل لي أنت واحد الناس

في كل معنى من الكلام بديهي

لك في جوهر الكلام بديع

يجتني الدر في يدي مجتنيه

فعلام تركت مدح ابن موسى

لخصاله التي تجمعن فيه

قلت: كيف أهتدي لمدح إمام

كان جبريل صاحباً لأبيه

هل قرأتم أحسن من هذا؟

يقول: أنا أعرف كيف أمدح الناس الذين مثلي وعلى شاكلتي، أما أنت فلا أعرف

كيف أمدحك، أما أنت فلا أستطيع. أنت وأبوك صاحب جبريل (يعني الرسول ﷺ).

قال:

كيف أهتدي لمدح إمام

كان جبريل صاحباً لأبيه

والصحيح أنه قال في بيته:

كان جبريل (خادماً) لأبيه.

فأنا حولت الكلام والذهبي حوله، والصحيح أن يقول:

كان جبريل صاحباً ومعلماً، فهو قالها في القصيدة لكن حولناها:

وكيف أهتدي لمدح إمام

كان جبريل صاحباً لأبيه

بين حاتم ومادر

في آخر الزمان يتكلم الروبيضة الذي ما كان له قدر في الناس، يعني يسود

غير المسود، ويوكل الأمر إلى غير أهله.



أتى أبو العلاء المعري بأبيات يتكلم فيها عن ذلك، يوم يقدم الذليل ويؤخر
الكريم، ويصعد الذنب إلى الرأس، ويتأخر الرأس إلى الذنب، وهي من علامات
الساعة، حتى تجد البيوت في القبائل؛ البيوت المعروفة بالكرم والسماحة والندی
والمجد أصبحت الآن متأخرة، وتجد الرقعاء والدخلاء والروبيضة والذين ليس لهم
مكانة أصبحوا الآن يتكلمون ويشار إليهم.

يقول أبو العلاء عن ذلك:

إذا عير الطائي بالبخل مادرٌ

وعير قسًا بالفهاهة باقل

وقال الدجى للشمس أنت كسيضة

وقال السهى للبدر وجهك حائل

فياموت زُر إن الحياة ذميمة

ويا نفس جدي إن دهرك هازل

وهذا شرح الأبيات:

"إذا عير الطائي بالبخل مادرٌ"

"حاتم الطائي" أكرم العرب، و"مادر" أبخل العرب.

يقولون كان مادر هذا من بخله إذا أراد أن يحتلب شاته يمصها من ثديها حتى
لا يسمع الناس صوت حلب الثدي في الإناء فيأتون، فمادر هذا يسب حاتم الطائي.

يقول:

إذا عير الطائي بالبخل مادر

وعير قسًا بالفهاهة باقل

وعير قسًا (قس بن ساعدة أخطب العرب).

وباقل (أعياى العرب؁ فهو لا يجيد التحدث؁ ولا التفكير).

يقولون: كانت أمه تلقنه اسمه في أول النهار فينساه مع الظهر.

وقد بلغ من حمقه أنه كانت لديه قلادة وضعتها أمه عليه حتى لا يختلط بالصبية لكي تعرفه إذا خرج في الشارع تأتي به؁ فأتى أخوه في الليل فأخذ القلادة؁ فلبسها؁ فقام في الصباح؁ فقال: يا أخي أنت أنا فمن أنا؟!

"وقال الدجى للشمس أنت كسيفة"

يقول الليل للشمس أنت كسيفة يا شمس؁

وقال السهى (الظلام) أو نجم مغبر للبدر: وجهك حائل.

"فيا موت زر" ما تصلح الحياة.

فيا موت زر إن الحياة ذميمة

ويا نفس جدي إن دهرك هازل

بشار يفوز ببردة الرسول ﷺ

وقد كان الخلفاء يحبون الشعر؁ وكانوا يتذوقونه؁ وكان الناس خطباء. كان خلفاء الأمة خطباء؁ وعلماء يتذوقون هذا الأدب.

يقول الإمام أحمد: «رحم الله ابن أبي ذئب قال كلمة الحق عند أبي جعفر؁ وأبو جعفر.. وأبو جعفر؁ يقصد: من يستطيع أن يقول كلمة الحق عند هذا الجبار؟».

قتل من الملوك أكثر من ثلاثين؁ وقتل الوزراء؁ وحتى أعمامه الذين هم إخوان أبيه قتلهم؁ ولذلك دخل ابن أبي ذئب؁ قال أبو جعفر المنصور:

أسألك بالله يا بن أبي ذئب؁ هل أنا عادل؟.

قال ابن أبي ذئب:

أعفني يا أمير المؤمنين. يقول سامحني هذه المرة.



قال: لا والله - والناس جلوس - قال: أسألك بالله هل أنا عادل؟

قال ابن أبي ذئب:

والله الذي لا إله إلا هو إنك ظالم، ثم خرج.

ودخل عليه ابن السماك الواعظ، قال أبو جعفر:

ناولني الأداة (أداة الحبر) اكتب بها.

قال ابن السماك:

لا.. أناولك. إن كنت تكتب ظلماً فلا أشارك معك في الظلم، وإن كنت تكتب حقاً فلست بخادم لك.

فأراد أن يستهزئ به، فوقع ذباب على أنف أبي جعفر الخليفة، فنفر ثم عاد،

قال:

يا بن السماك لماذا خلق الله الذباب؟.. يعني ما الفائدة من الذباب؟.. هل فيه فائدة؟ هل يحلب؟ أو يذبح؟ أو يؤكل؟ أو يطبخ؟ وما الفائدة من الذباب؟

قال: يا أمير المؤمنين خلق الله الذباب ليدل به أنوف الطغاة.. لا يقع إلا على

أنوف الطغاة.. هذه الفائدة من الخلق.

قال: فخرج أبو جعفر، واحمر وجهه.

وخرج مع الشعراء، قال:

من يكمل لي بيتاً أعطيه بردة الرسول - عليه الصلاة والسلام - التي عليّ.

بردة الرسول ﷺ تشتري بالدماء، لا يلبسها إلا الخلفاء، قال الشعراء: إلينا

بالبيت، فقال:

وهاجرة نصبت لها جبيني

يقطع حَرَّها ظهر العِظَاية

فقام الشعراء على ركبهم أيهما ليأخذ الجائزة، قال بشار بن برد الشاعر العجيب:

وقفت بها القلوص ففاض دمعي

على خدي وأقصر واعظايه

فرمى بالبردة عليه، فشرها الناس منه.

وبشار شاعر أعمى، يقول:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة

والأذن تعشق قبل العين أحياناً

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم

الأذن كالعين توتي القلب ما كانا

يا ليتني كنت تفاعاً مفلجة

أو كنت من ثمر الريحان ريحانا

وهو الذي يقول:

إن في بردي جسماً ناحلاً

لو توكأت عليه لأنهدم

فأتاه رجل فوجده سميئاً كالثور!!

قال:

هذا جسمك، وأنت تقول في بردي جسماً ناحلاً!!

قال:

أما يقول الله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.



وقوله:

لَمْ يَطُلْ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ
وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفًا أَلَمَ
وَإِذَا قَلتْ لَهَا جُودِي لَنَا
خَرَجَتْ بِالصَّمْتِ عَنِ لَا وَنَعَم

بُشْرَى مِنَ الْغَيْبِ

والشاعر اليمني البردوني من أشعر الناس، ولكنه أعمى الله قلبه وبصره فهو
بعثي - حشفاً وسوء كيل - .

نظم قصيدة في الرسول ﷺ من أعذب ما سمعت في حياتي .
يقول من ضمن أبياته:

بُشْرَى مِنَ الْغَيْبِ أَلَقَتْ فِي فَمِ الْغَارِ
وَحَيًّا وَأَفْضَتْ إِلَى الدُّنْيَا بِأَسْرَارِ
بُشْرَى النُّبُوَّةِ طَافَتْ كَالشَّذَى سَحْرًا
وَأَعْلَنْتُ فِي الرُّبَا مِيلَادَ أَنْوَارِ
وَشَقَّتِ الصَّمْتِ وَالْأَنْسَامُ تَحْمِلُهَا
تَحْتَ السَّكِينَةِ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارِ
وَهَدَهَدَتْ «مَكَّةَ» الْوَسْنَى أَنْامِلُهَا
وَهَزَّتِ الْفَجْرَ إِيدَانًا بِإِسْفَارِ
فَأَقْبَلَ الْفَجْرُ مِنْ خَلْفِ التَّلَالِ وَفِي
عَيْنِيهِ أَسْرَارُ عِشَاقٍ وَسُومَارِ

كأنَ فَيُضْ السنى في كلِّ رابيةٍ
 مَوْجٌ وفي كلِّ سفحِ جدولٍ جاري
 تدافعُ الضجْرُفي الدنيا يزفُ إلى
 تاريخها فجرُ أجيالٍ وأدهارِ
 واستقبلُ الفتحُ طفلاً في تبسمه
 آياتُ بشرى وإيماءاتُ إنذارِ
 وشبُّ طفلٍ الهدى المنشودُ متزراً
 بالحقِّ متشجِّحاً بالنورِ والنارِ
 في كفه شعلهٌ تهدي وفي فمه
 بشرى وفي عينه إصرارُ أقدارِ
 وفي ملامحه وعدٌ وفي دمه
 بطولةٌ تتحدى كلَّ جبارِ
 وفاضَ بالنورِ فاغتمَّ الطغاةُ بهِ
 واللصُّ يخشى سطوعَ الكوكبِ السّاري
 والوعى كالنورِ يخزي الظالمينَ كما
 يخزي لصوصَ الدجى إشراقَ أقمارِ
 نادى الرسولُ نداءَ العدلِ فاحتشدتْ
 كتائبُ الجورِ تنضي كلَّ بتّارِ
 كأنّها خلّفه نارٌ مجنّحةٌ
 تعدو وقدأمه أفواجُ إعصارِ



فضج بالحق والدنيا بما رحبت
 تهوي عليه بأشداق وأظفار
 وسار والدرب أحقاد مسلخة
 كأن في كل شبر ضيغماً ضاري
 وهب في دريه المرسوم مندفعاً
 كالدهر يقذف أخطاراً بأخطار
 فأدبر الظلم يلقي ها هنا أجلاً
 وها هنا يتلقى كفاً... حفار
 والظلم مهما احتمت بالبطش عصبته
 فلم تطق وقضة في وجه تيار
 رأى الرسول أبو الأيتام غايته
 قصوى فشق إليها كل مضمار
 وامتدت الملة السمحا يرفاً على
 جبينها تاج أعظام وإكبار
 نحن اليمانيين يا طه تطير بنا
 إلى روابي العلاء أرواح أنصار
 أنا ابن أنصارك الغر الأولى سحقوا
 جيش الطغاة بجيش منك جرار
 إذا تذكرت عمارة وسيرته
 فافخر بنا إننا أحفاد عمار



والقصيدة طويلة تقارب الثمانين بيتاً لكنها بديعة، وقد عارضتها بأبيات ما يقارب أربعين بيتاً .. منها :

صوت من الغور أم نور من الغار

أم ومضة الفكر أم تاريخ أسرار

يا عيد عمري ويا فجري ويا أملي

ويا محبة أعمار وأقطار

تطوى الدياتجير مثل الفجر في ألق

تروي الفيافي كمثل السلسل الجاري

الشمس والبدر في كفيك لو نزلت

ما أطفأت فيك ضوء النور والنار

أنت الرسول ولكن فيك ملحمة

يذوب في ساحها مليون جبار

فما لقومي بلا وعي قد انتكسوا

أصغوا لصيحات عرييد وخمار

يبيع ذمته المعهود في وثن

والدين ينهار منه في شفا هار

لو بيع في السوق ما حازوا له ثمناً

ولو شرهه لكان الغبن للشاري

شادوا الدنانير هالات مزخرفة

جماعها لا يساوي ربع دينار



نزار شاعر.. ولكن

نزار قباني تسمعون وتقرؤون له في الصحف، ولكني أنصحكم أن تجتنبوا القراءة لهذا الرجل، وإنما له بعض الأبيات، ولكن من اضطر أن يقرأ له فليعد بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات، ويتوضأ.

هذا الرجل شاعر ولكن إبليس ركبه، وعليه شيطان، ولكن له أبياتاً جميلة يقول:

دمشق يا كنز أحلامي ومروحتي

أشكو العروبة أم أشكو لك العربا

أدمت سياط حزيران ظهورهم

فقبلوها وباسوا كف من ضربا

وطالعوا كتب التاريخ واقتنعوا

متى البنادق كانت تسكن الكتب

يقول:

هؤلاء العرب ما عندهم إلا حزيران، والقومية العربية ما تذكر إلا نكسات مع "جولدا مائير" و "موشي ديان".

ولكن بدران، وحطين، وأحداً، واليرموك، وعين جالوت.. هذه معارك الإسلام الخالدة.. معارك لا إله إلا الله.. معارك يوم اتصلنا بالله.. معارك يوم كنا عبداً لله، لكن هؤلاء تركوا منهج الله، وكتاب الله عز وجل، وسنة الرسول ﷺ.

ويقول (موشي ديان): "من أراد أن ينتصر فليحارب العرب".

قلنا: والله حاربت العرب، ولم تحارب أناساً يحملون "لا إله إلا الله"، ولو كان خالد، وصلاح الدين أحياء لكنت عرفت، ولذلك هذا نزار قباني يقول في قصيدة له

يرثي جمالاً .. مجرم يرثي مجرماً .. يقول:

زمانك بستان وروضك أخضر

وذكراك عصفور من القلب ينقرُ

نساء فلسطين تكحلن بالأسى

وفي بيت لحم قاصرات وقُصّر

وليمنون يافا يابس في أصوله

وهل شجر في قبضة الظلم يثمر

ثم يقول:

رفيق صلاح الدين هل لك عودة؟

(انظر جمال الأبيات):

رفيق صلاح الدين هل لك عودة

فإن جيوش الروم تنهى وتأمّر

رفاقتك في الأغوار شدوا سروجهم

وجيشك في حطين صلوا وكبروا

تغني بك الدنيا كأنك طارق

على بركات الله يرسو ويبحرُ

ثم يقول:

تناديك من شوقٍ مآذن مكةٍ

وتبكيك بدر يا حبيبي وخيبر

تعال إلينا فالمرءات أقضرت

وموطن آبائي زجاج مكسر



يطاردنا كالموت ألف خليضة

ففي الشرق هولاكو وفي الغرب قيصر

سبق السيف العذل

الحجاج بن يوسف، وتعرفون من هو الحجاج!!

استدعى شاعراً من اليمامة وهو «جُحْدَر العُقْلي» قال أبياتاً يسب الحجاج، وقال الحجاج والله لأقتلنه، وقتل الرجال عند الحجاج مثل قتل الدجاج!!، ليس لهم ميزان عنده، فركبوا هذا الشاعر المسكين وقيدوه على الجمل، وقال الحراس: ما عليك خلاف.. الحجاج رجل حلِيم، ورحيم، ولا تخف:

قال: والله أعرف، ثم بكى، ونظر إلى شجرتين في اليمامة، وقال:

ومماً هاجني فازددت شوقاً

بكاء حمامتين تجاوبان

وقد ترك وهو يخرج من اليمامة أطفاله وزوجته، وهو يبكي عليهم، ويعرف أنه لن يعود إلا مقتولاً.. قال:

ومماً هاجني فازددت شوقاً

بكاء حمامتين تجاوبان

تجاوبتا بلحن أعجمي

على غصنين من غرب وبان

هذه حمامة تبكي على شجر الغرب، والثانية تبكي على البان..

اسمع ماذا يقول:

ومماً هاجني فازددت شوقاً

بكاء حمامتان تجاوبان

تجاوبتا بلحن أعجمي

على غصنين من غرب ويران

فكان البان أن بانت سليمي

وفي الغرب اغتراب غيرداني

يقول معنى البان .. أنها تبين من سليمة ما عدت ألقاها إلا في يوم القيامة،
وأما شجر الغرب فهو اغتراب عن الأهل والأوطان.

ووصل إلى الحجاج فقتله.

فاستمع الحجاج بعدما قتله إلى أصحابه، فأنشدوا الشعر، فقال:

لو أخبرتموني لما قتلته.

ولكن هؤلاء جلساء السوء لما يخبرون إلا بعد ما تقع الحادثة.

الجار قبل الدار

التهامي هذا شاعر عجيب، مات ابنه في الرابعة عشرة من عمره، فلما مات
ابنه نظم قصيدة رائعة من أروع القصائد .. يقول فيها:

حكم المنية في البرية جار

ما هذه الدنيا بدار قرار

إني أصبت بصارم ذي رونق

أعدده لقرابة الأوتار

جاورت أعدائي وجاور ربه

شتان بين جواره وجواري

يقول: أما أنا فبقيت مع الحساد وأهل الدنيا وأهل النكد، وأما هو فأخذه الله

في جواره:



جاورت أعدائي وجاور ربه

شتان بين جواره وجواري

فرؤي التهامي في المنام بعد وفاته .. قالوا: ما فعل الله بك؟

قال: غفر لي.

قالوا: بماذا؟

قال: بقولي في بيتي:

جاورت أعدائي وجاور ربه

شتان بين جواره وجواري

يقول ابن القيم: لله در آسية امرأة فرعون - عليها السلام - يوم قالت:

﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ .

قال: فقدمت الجار قبل الدار.

انظر كيف قالت: ﴿ عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ لم تقل: " رب ابن لي بيتاً في الجنة

عندك "، فقالت: ﴿ عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ فقدمت الجار قبل الدار، فنسأل الله -

عز وجل - أن نكون من جيرانه في دار النعيم.

قرارة نفس

ذكر الذهبي أن محدثاً من المحدثين كان في سكرات الموت، فسمع أحد طلاب

الحديث يقول: حدثنا فلان عن فلان، وهذا المحدث ولى من الدنيا، فأصبح في

عالم آخر، ولكن تذكر مجالس الحديث، ومجالس العلم فبكى كثيراً، ثم قال:

أجلسوني.

قالوا: أنت في وضع خطير.

قال: أجلسوني، فأجلسوه.

قال للطالب: أعد قوله حدثنا فأعاد:

سقوني وقالوا لا تغن، ولو سقوا

جبال سليم ما سقيت لغنت

والبيت هذا لرجل من العرب أُسر، ثم أسقوه الخمر فغنى ورفع صوته، قالوا: لا تغن فيسمعك الأعداء، قال تسقوني الخمر ولا أغني!!
ولذلك الخمر والغناء شريكان وهما طريقان إلى النار.
وإنما ذلك يقول: أسمعتموني الحديث، وتقولون لا أجلس، وأنا روعي في الحديث.

من زار بابك

أحد المحدثين يقول في الرسول ﷺ:

من زار بابك لم تبرح جوارحه

تروي أحاديث ما أوليت من ممن

فالعين عن قررة والكف عن صلة

والقلب عن جابر والسمع عن حسن

هؤلاء الرواة، لكن أحدهم حولها لأسماء، يقول:

يا رسول الله، من أتى إلى بابك في علم الحديث تروي جوارحه ما أوليت من المنن في هذا العلم.

فالعين عن قررة، وقررة هذا ابن شريك، وقررة محدث، فالعين عن قررة (قررة العين)، والكف عن صلة (صلة بن أشيب المحدث)، والقلب عن جابر (جابر بن عبد الله)، والسمع عن حسن (البصري) وهو يريد مرادات أخرى.

كرم العضو

الرسول - عليه الصلاة والسلام - أهدر دم الشاعر كعب بن زهير؛ لأنه هجاه في قصيدة، والرسول مرفوع عن السب.. فديناه بأعراضنا ودمائنا وأموالنا، فصار



كعب ينام في النهار ويمضي في الليل، ولكن ضاقت عليه الأرض، فذهب إلى سادة القوم وقال: ما الحل؟.. ما الوسيلة؟.. ما المخرج؟.. فأشاروا عليه بأن ينظم قصيدة، ويخرج إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - ويصالحه بها، فذهب فأمسى عند أبي بكر، وقال: يا أبا بكر ما رأيك؟ قال: عندك شيء من الشعر؟

قال: عندي قصيدة.

قال أبو بكر: إذا صليت الفجر فسأتقدم للرسول ﷺ وأستأذنه لك في أن تلقي قصيدتك.

فلما صلى - عليه الصلاة والسلام - بالناس، قال أبو بكر: يا رسول الله عندنا كعب بن زهير يريد أن يلقي عليك أبياتاً.

قال: قل - وكان أحلم الناس ﷺ، وأرحم الناس - .

قال كعب:

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها لم يزد مكبول

وهنا بيتديُّ بالغزل، ويذكر زوجته سعاد، فأوقفه - عليه الصلاة والسلام - في أول

البيت، وقال: من هي سعاد؟

قال: زوجتي يا رسول الله.

قال: لم تبني إداً، ما زالت معك، ما بانت بإذن الله.

قال:

وما سعادُ غداة البين إذ رحلت

إلا أغن غضيض الطرف مكحول

حتى يقول:

نبئت أن رسول الله أوعدني

والعضو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة

القرآن فيها مواعيز وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم

أذنب، ولو كثرت في الأقاويل

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به

أرأى وأسمع ما لو يسمع الضيل

يقول: يا رسول الله، والله لقد سهرت، وتعبت، وخفت، وتشردت عن أهلي

وطاردني الناس.. ارحمني يا رسول الله.. احلم عني يا رسول الله..

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به

أرأى وأسمع ما لو يسمع الضيل

حتى وضعت يميني ما أنزعها

في كف ذي نجمات قوله القيل

يقول: قدمت من بوادي العرب، وجئت إليك ووضعت يميني في يمينك، وإن

أردت ذبحي فاذبحني وإلا فاعفُ عني.

ثم يقول:

إن الرسول لنور يستضاء به

مهندٌ من سيوف الله مسلول

في عصابة من قريش قال قائلهم

ببطن مكة لما أسلموا زولوا



زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كشفٌ

عند اللقاء ولا ميل معازيلُ

لا يقطع الطعن إلا في نحوهم

وما لهم عن حياض الموت تهليلُ

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته

يوماً على آلة حديدٍ محمول

يقول: إن قتلتني اليوم فكلنا نلتقي عند الله، وإن عضوت عني فسوف أموت، فالقضية موت، لذا فاتركني أياماً معك.

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته

يوماً على آلة حديدٍ محمول

فخلع الرسول برده - هذه البردة كانت بأزرار، وكانت كأجمل ما يكون - فخلعها وألبسها كعباً، وقال: عفوت عنك خرج بالبردة فباعها لمعاوية بن أبي سفيان بأربعين ألف درهم، وبيعت هذه البردة حتى وصلت الخلفاء الأتراك في اسطنبول، وهي في متحف هناك تساوي الملايين، وهي أعلى من الدنيا وما فيها؛ لأن محمداً - عليه الصلاة والسلام - لبسها.

العين و (الأنا) في محكمه العشق

وللشاعر الإيراني الشيرازي السني أبيات جميلة منها:

بكت عيني غداة البين دمعاً

وأخرى باليكَا بخلت علينا

فعاقت التي بالدمع ضنت

بأن أغمضتها يوم التقينا

ومن أبياته:

قال لي المحبوب لما زرتَه

من بابي قلت بالباب أنا

طرق الباب، قال: من؟

قال: أنا.

وأنا منهي عنها في السنة.

يقول جابر - رضي الله عنه - : طرقت الباب على الرسول ﷺ، قال: من؟

قلت: أنا.

قال: أنا.. أنا.

وكان الرسول ﷺ كره ذلك القول، مني.. أنا؟ ألف من يقول أنا، لكن قل فلان

أبو محمد، علي بن سعيد، سعيد بن علي، محمد بن فلان، لكي يعرف، لذلك لما

طرق جبريل السماء على الملائكة قالوا: من؟

قال: جبريل.

قالوا: من معك؟

قال: محمد.

قالوا: مرحباً بك وبمن معك، وفتحوا الباب.

فيقول الشيرازي:

قال لي المحبوب لما زرتَه

من بابي قلت بالباب أنا

قال لي: أخطأت تعريف الهوى

حينما فرقت فيما بيننا

يقول: لماذا تقول أنا؟ فالمحبة ليس فيها أنا وأنت.



فمضى عام فلما جيئته
 أطرق الباب عليه موهنا
 قال لي من أنت قلت انظر فما
 ثم إلا أنت في الباب هنا
 قال لي أحسنت تعريف الهوى
 وعرفت الحب فادخل يا أنا

شقاء أصحاب العقول

يقول ﷺ:

«إن من الشعر لحكمة».

والمتنبي يقول في الحكمة:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

فيقول: إن العاقل اللبيب خائف من الله وهو مستقيم، ويصلي، ويخاف من عدم الخشوع في الصلاة، ويذكر الله ويخاف أن لا يقبل، ويعبد الله ويخاف من الرياء، ويتصدق ويخاف من الشيطان، ويستقيم ويخاف من النار، ويبيكي في الندوات، وفي الدروس، وفي المحاضرات، ودائماً وجل، ويقول: ربنا اصرف عنا عذاب جهنم، أعود بالله من عذاب النار.

بينما الفاجر تجده في الشقاوة ينعم بكأس الخمر، والمجلة الساقطة، والأغنية الماجنة، والبلوت والسهرات في المقاهي إلى الثالثة ليلاً، والبعد عن الله، وإذا قلت لهذا الجاهل: يا عبدالله، اسمع إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿حَمْدُ اللَّهِ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ مُصِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

قال: لا إله إلا الله، الله المستعان، اللهم اغفر لنا وارحمنا، ولكنك حينما تنصحه، يقول: الله غفور رحيم، والله - سبحانه وتعالى - يتقبل ولا يأخذنا بأعمالنا، ونحن أحسن من الكفار، وأنا قد سافرت إلى أمريكا.. نحن أحسن منهم.

فهو ينظر دائماً إلى الأقل فيقول:

(العبد) يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ

وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ

ويقول في مطلع القصيدة:

لَهُوَى النَّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعَلِّمُ

عَرَضًا نَظَرْتُ وَخَلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ

يَا أُخْتِ مُعْتَنِقِ الضَّوَارِسِ فِي الوَعَى

لَأَخْوَكَ تَمَّ أَرْقُ مِنْكَ وَأَرْحَمُ

رَاعَتِكَ رَائِعَةَ البَيَاضِ بِمَفْرِقِي

وَلَوْ أَنَّهُمَا الأُولَى لِرَاعِ الأَسْحَمِ

لَوْ كَانَ يُمَكِّنُنِي سَفَرْتُ عَنِ الصَّبَا

فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الأَوَانِ تَلْتُمُ

وَلَقَدْ رَأَيْتِ الحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى

يَقَقًا يُمِيتُ وَلَا سَوَادًا يَعْصِمُ

وَالهَمُّ يُخْتَرِمُ الجَسِيمَ نَحَافَةً

وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ

ذو العَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ

وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ



وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الْحِفَاطَ فَمُطْلَقٌ
 يَنْسَى الَّذِي يُؤَلَى وَعَافٍ يَنْدَمُ
 لَا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوِّ دَمْعُهُ
 وَأَرْحَمُ شَبَابِكَ مِنْ عَدُوِّ تَرْحَمُ
 لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
 حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
 يُؤْذِي الْقَلِيلُ مِنَ اللَّئَامِ بِطَبْعِهِ
 مَنْ لَا يَقِلُّ كَمَا يَقِلُّ وَيَلُومُ
 وَالظَّلْمُ مِنْ شِيمِ النَّفْسِ فَإِنْ تَجَدُّ
 ذَا عِمْقَةٍ فَلَعِلَّةٌ لَا يَظْلِمُ
 وَمَنْ الْبَلِيَّةَ عَدَلُ مَنْ لَا يَرَعُوي
 عَنْ جَهْلِهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ
 وَجُفُونُهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا
 مَطْرُوفَةٌ أَوْفَتْ فِيهَا حِصْرَمُ
 وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ
 قِرْدٌ يَقْهَقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ
 يَقْلَى مُفَارَقَةَ الْأَكْفِ قَدَالَهُ
 حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدَيْتِهِمْ
 وَتَرَاهُ أَصْغَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا،
 وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُقْسِمُ

وَالذَّلَّ يُظْهِرُ فِي الذَّلِيلِ مَوَدَّةً
 وَأَوْدٌ مِنْهُ لِمَنْ يَوَدُّ الْأَرْقَمُ
 وَمِنْ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ
 وَمِنْ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ

والقصيدة أطول من ذلك، وهي جميلة بحق.

الإناء بما فيه ينضح

ويقول المتنبّي:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
 وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمٍ
 وَعَادَى مُحِبِّيهَ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ
 وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمٍ

يقول: إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه في الناس.

الآن السارق يسرق الناس، ويظن أن الناس سرقوا مثله. الكاذب يظن أن الناس كذبت. الفاجر يظن أن الناس فجرت.. "كاد المريب أن يقول خذوني".

علامة الوقار

ذَكَرُ الشَّيْبِ عِنْدَ الْعَرَبِ كَثِيرٌ، وَبَعْضُهُمْ يِرَاهُ وَقَارًا، وَبَعْضُهُمْ يَتَشَاءُ مِنْهُ .
 وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ وَقَارٌ لِلْمُؤْمِنِ وَأَنَّهُ شَرَفٌ لَهُ، وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَحْسِنُهَا بَعْضُ
 الْعُلَمَاءِ: «مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقد نظر إبراهيم - عليه السلام - إلى المرأة فرأى شيبه في لحيته، قال: يا

رب ما هذا؟

قال: نور، أو وقار يا إبراهيم.

قال: اللهم زدني وقاراً.



وفي ذلك يقول الخليفة المستنجد:

عيرتني بالشيب وهو وقارُ

ليتها عيرت بما هو عار

امراته عيرته بالشيب، تقول: أنت يا "شايب".

قال: ليتها عيرتني بشيء فيه عار لي، ولكن عيرتني بما يزيدني وقاراً عند

الله عز وجل.

وقال أبو العتاهية:

بكيتُ على الشبابِ بدمعِ عيني،

فلم يُغنِ البُكاءُ ولا النَحيبُ

فيا أسفاً أسفتُ على شبابِ،

نَعاهُ الشَّيبُ والرَّأسُ الخَضيبُ

عَريتُ منَ الشَّبابِ، وكانَ عُصناً،

كَمَا يَعْرِى منَ الورقِ القَضيبُ

فيا ليتَ الشَّبابَ يَعُودُ يَوماً،

فأخبره بما فعلَ المشيبُ

يقول: يا ليت الشباب يعود لي مرة، فأخبره ماذا فعل المشيب بي.. ما نومني

في الليل، وما تركني أرتاح، ولا أهدأ.

يقولون إن أحد الشعراء العرب كبر سنه حتى وصل الثمانين، فما كان ينام

بالليل، كان دائماً يتأوه من طول السنين، ومن الأمراض، ومن الأوصاف، فقال له

أبناؤه: ما لك لا تنام؟.. ماذا تشتكي؟

فقال:

قالوا أنينك طول الليل يسهرنا

فما الذي تشتكي قلت: الثمانينا

خرج أحد العلماء - يقال: إنه خرج في آخر خروج له من المسجد الجامع الكبير في الرياض يتعكز على عصا، وبه سعال وكبر في السن، وكان ولياً من أولياء الله، موحداً صادقاً، فلما خرج أخذ ينزل من الدرج بتعب، وكان يحتمل على بعض الناس ما استطاع.

قال: إذا الرجال ولدت أولادها

وأخذت أسقامها تعتادها

وكثرت من مرض عوادها

فهي زروع قد دنا حصادها

ومات بعد يومين.

نعم إذا الرجال ولدت أولادها .. يعني: إذا ولد لولدك ولد وصرت جداً فانتظر الموت، فانتظر سكرات الموت.

وأخذت أسقامها تعتادها .. إذا كثر مراجعتك إلى المستشفى يصبح الإنسان "مسمكراً" من كل جهة .. "قطع غيار" عندما ينتهي من المستشفى من أذنه بدأ المرض في العين .. من العين إلى الرجل .. من الرجل إلى اليد .. من اليد إلى الكبد .. من الكبد إلى الطحال. أصبح كله مثل السيارة المجمععة من كل جهة.

وأخذت أسقامها تعتادها وكثرت من سقم عوادها، أصبح من يعتادك كثيراً. كيف حالك يا فلان؟ .. هذا يتصل بالهاتف، وهذا يطرق الباب؛ ولذلك الشباب الآن ما يعودهم أحد على الأرجح.

قال: فهي زروع قد دنا حصادها ..

انتبه فقد أشرفت إلى الله:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

وهذه عبرة للإنسان.



عدو النساء

يقول الشاعر:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي

بصيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبٌ

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ

فليس له من وُدِّهِنَّ نَصِيبٌ

يُردُّنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ

وشرُّ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ

فالمرأة تمدح الرجل، وتقول له: أنا معك حتى لو تدخل النار دخلت معك - أعود بالله من النار - لكن إذا شاب أو ضعف أو قل ماله ربما تقلب له ظهر المجن، هذا في الأرجح، وإلا ففيهن الصالحات.

ويقول الأول:

رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بِعَارِضِي

فَأَعْرَضْنَ عَنِّي بِالْحُدُودِ النَّوَاضِرِ

فالشيب عدو لهن.

ومما يذكر ابن الجوزي في صيد الخاطر: يحذر الكبير من أن يتزوج من الفتاة الصغيرة، فحينما يأتي رجل عمره ثمانون ويتزوج بنت خمسة عشر عاماً، وبعد شهرين يموت، هذا تدليس، وقد نهي عن الخضاب، لأنه فيه غش، فحينما يخضب أبو الثمانين لحيته، فيأتي ما شاء الله كأنه شاب، وإذا سئل: كم عمرك يا فلان؟

قال: والله أنا أذكر قريباً.. أذكر يوم دخل العراق الكويت، كنت أشرب الحليب

وأنا جالس.

وإذا قالوا: فلان من أنداك؟!.

قال: لا.. فلان كبير، أنا من أبناء فلان، فيزوجونه وبعد فترة يموت، والشرط أن يبقى فترة، وما على هذا تبايعنا!.

على كل حال هذا أحذر منه، لكن لو نظر في السن بما يكافئه، لا بأس في زيادة سنه مع طول عشر سنوات، أربعين سنة!.

زهرة النرجس

يقولون إن أبا نواس كان يشرب الخمر، وله الخمريات قصائده الطويلة، ولكن رؤي في المنام. قيل له: ما فعل الله بك؟

قال: غضر لي وأدخلني الجنة.. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

لا إله إلا الله، إن الله لا يتعاطمه ذنب، ليس أمام الله ذنب لا يغفره.. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

قالوا: بماذا أدخلك الجنة؟

قال: لأنني وصفت زهرة النرجس. وفيها يقول:

تأمل في نبات الأرض وانظر

إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات

بأحداق هي الذهب السبيك

على كتب الزبرجد شاهدات

بأن الله ليس له شريك

خلوة الدهر

يقول أبو نواس في سكرات الموت قبل أن يموت بدقائق، بعدما جلس على

فراشه يبكي:



لهونا لعمر الله حتى تتابعنا

ذنوب على آثارهن ذنوب

فياليت أن الله يغفر ما مضى

ويأذن في توباتنا فنتوب

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل

خلوت، ولكن قل: علي رقيب

ولا تحسبن أن الله يَغْفُلُ طرفة

ولا أن ما يخفى عليه يغيب

يقول الإمام أحمد لما سمع قوله:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل

خلوت، ولكن قل: علي رقيب

قام فأغلق عليه الباب، وبقي يبكي حتى سُمع بكأؤه من خارج البيت، وهو يقول:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل

خلوت، ولكن قل: علي رقيب

وفي هذا المعنى يقول الأندلسي:

وإذا خلوت بريبة في ظلمة

والنفس داعية إلى الطغيان

فاستحي من نظر الإله وقل لها

إن الذي خلق الظلام يراني

بكت عيني اليمنى

ويقول الصمة القشيري:

فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ

عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعًا

بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا

عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلْتَا مَعًا

يقول: هذه العيون مشكلة.. بكت عينه اليمنى وصبرت اليسرى، فقلت لليمنى:

استحي انظري إلى أختك اليسرى ما بكت، فبكت اليسرى معها.

ومن هذه القصيدة:

قِفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى

وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَعَا

وَمَا رَأَيْتَ الْبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا

وَجَالَتْ بِنَاتُ الشُّوقِ يَحْنَنَّ نَزْمًا

تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي

وَجِعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا

فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ

عَلَيْكَ، وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعًا

بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا

عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلْتَا مَعًا

وَأَذْكَرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْتَنِي

عَلَى كَبْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا



بكاء الخنساء على صخر

والرثاء عند العرب جميل..

يقول الأصمعي: لقد أبكى العرب العجوز على شبابها بسبب الرثاء، وهو أجمل ما يقال في الأشعار.

وقد رثت الخنساء أباها صخرًا بقصيدة جميلة، وصخر مات في الجاهلية، وقد كان يقسم ماله نصفين، فيعطيها النصف وله النصف، ولما سُئلت: لماذا كان بكائك على صخر، ولم يكن على أبنائك الأربعة.

قالت: لأنهم ماتوا إلى الجنة، وأما صخر فإني أخشى أن يكون مات إلى النار، فقد مات مشرئًا:

كَأَنَّ عَيْنِي لَذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرْتُ

فِيضُ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَيْنِ مِدْرَارُ

تَبْكِي خُنَاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا

إِذْ رَابَهَا الدَّهْرُ، إِنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارُ

قَدْ كَانَ فِيكُمْ أَبُو عَمْرٍو يَسُودُكُمْ

نَعِمَ الْمُعَمَّمُ لِلدَّاعِينَ نَصَّارُ

وَإِنَّ صَخْرًا لَوَالِيْنَا وَسَيِّدُنَا

وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لَنَحَّارُ

وَإِنَّ صَخْرًا لِمُقْدَامٍ إِذَا رَكِبُوا

وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا جَاعُوا لَعَقَّارُ

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمَّ الْهُدَاةُ بِهِ

كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

جَلْدٌ جَمِيلٌ مُحْيَا كَامِلٌ وَرَعٌ
 وَللْحُرُوبِ غِدَاةُ الرَّوْعِ مِسْعَارُ
 حَمَالُ أَلْوِيَةِ هَبَّاطٌ أُوْدِيَّةُ
 شَهَادُ أُنْدِيَّةٍ لِلجَيْشِ جَرَارُ
 نَحَارُ رَاغِيَّةٍ مَلْجَاءُ طَاغِيَّةِ
 فَكَأَنَّ عَانِيَةَ لِلْعَظْمِ جَبَّارُ

وتقول:

يُؤرِّقُنِي التَّنْذَكْرُ حِينَ أُمْسِي
 فَأُصْبِحُ قَدْ بُلِيْتُ بِفِرْطِ نَكْسِ
 عَلَى صَخْرٍ، وَأَيُّ فِتْيَ كَصَخْرِ
 لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَطِعَانِ حِلْسِ
 وَضَيْفِ طَارِقِ أَوْ مُسْتَجِيرِ
 يُرَوِّعُ قَلْبُهُ مِنْ كُلِّ جَرَسِ
 فَأَكْرَمَهُ وَأَمَّنَهُ فَأُمْسَى
 خَلِيًّا بَالَهُ مِنْ كُلِّ بؤْسِ
 يُنْذَكِّرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا
 وَأَذْكَرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ
 وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي
 عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
 وَلَكِنْ لَا أزالُ أَرَى عَاجُولًا
 وَبَاكِيَةً تَنُوحُ لِيَوْمِ نَحْسِ



وما يبكون مثل أخي ولكن
أعزّي النفس عنه بالتأسي
فلا والله لا أنساك حتى
أفارق مهجتي ويشق رمسي
فقد ودعت يوم فراق صخر
أبي حسان لذاتي وأنسي
فيا لهفي عليه ولهف أمني
أصبح في الضريح وفيه يمسي؟

أولى الناس بالمديح

الحقيقة أن المديح للناس لا يستحقه إلا الرسول ﷺ، وهو أولى الناس به.
يقول أحد الشعراء:

فما حملت من ناقة فوق ظهرها
أبر وأوفى ذمة من محمد
عليه الصلاة والسلام.

وعمر - رضي الله عنه - سمع بيت الأعشى الذي يقول فيه:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة
إلى ضوء نار في يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمخلق

قال عمر: ذاك رسول الله عليه الصلاة والسلام.

المحلق رجل من العرب بخيل، كان عنده ثمان بنات نشبن في حلقه ولم يتزوجن،
والعرب تغتفر كل ذنب إلا البخل، وقد كان هذا الرجل في الجاهلية وأصابه تكدر
في البنات، حتى إنه كلما تقدم رجل ليخطب أحد البنات، قيل له: انتبه فإنه بخيل.
فأتت امرأة المحلق، وقالت له: لماذا لا تذهب إلى الأعشى الشاعر، وتكرمه
وتضيفه وتكسوه فيمدحك بالكرم فتزوج بناتك.

قال: صدقت، أصاب الله بك الخير. فذهب إلى الأعشى، فذبح له ناقة على
الرغم من أنه ما يذبح دجاجة أصلاً، فلما ضيفه كساه وألبسه، وقال: اذهب ولكن لا
تتسنا من بعض الأبيات.

فقال الأعشى - وهو شاعر العرب - قال:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة

إلى ضوء نار في يفاع تحرق

يقول: والله لقد نظرت عيون العرب من كل جهة في البادية إلى ضوء هذا
الرجل الكريم الذي ضيف الناس وأشعل النار.

تشب بمقرورين يصطليانها

يقول: تشب لمقرورين، الذين أصابهم الجوع والبرد فأتيا إلى هذه النار.

وبات على النار الندى والمحلق.

فطارت هذه القصيدة لتجلب الأزواج لبناته، حتى إن بناته تزوجن جميعاً في
شهر، بسبب قصيدة الأعشى.

أراد الأعشى أن يسلم، فأتاه شياطين الإنس فصرفوه عن الإسلام.

وقد خرج من اليمامة - من منزله الذي يعد في حي منفوحة في مدينة
الرياض، حيث دفن هناك، وقيل: دفن في ديراب بقرب الرياض - خرج على ناقة
يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام:



أَلَمْ تُغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا،
وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ الْمُسْهَدَا
وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا
تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خَلَّةَ مَهْدَدَا
وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَاتِرٌ،
إِذَا أَصْلَحَتْ كَفَايَ عَادَ فَأُفْسَدَا
شَبَابٌ وَشَيْبٌ، وَافْتِقَارٌ وَثَرْوَةٌ،
فَلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كَمَا كَيْفَ تَرَدَدَا
وَمَا زِلْتُ أَبْغِي المَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ،
وَلَيْدَاً وَكَهْلَاً حِينَ شَبِبْتُ وَأَمْرَدَا
وَأَبْتَذِلُ العَيْسَ المَرَاقِيلَ تَغْتَلِي،
مَسَافَةً مَا بَيْنَ النَجِيرِ فَصْرُخَدَا
فَإِنْ تَسْأَلِي عَنِّي فَيَا رَبُّ سَائِلِ
حَضِي عَنِ الْأَعْمَشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا
أَلَا أَيُّ هَذَا السَّائِلِي: أَيْنَ يَمَمْتُ،
فَإِنْ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا
فَأَمَّا إِذَا مَا أَدْلَجْتُ، فَتَرَى لَهَا
رَقِيبَيْنِ جَدِيًّا لَا يَغِيبُ وَفَرْقَدَا
وَفِيهَا إِذَا مَا هَجَرْتُ عَجْرَفِيَّةً،
إِذَا خَلْتِ حَرِبَاءَ الظَّهِيرَةَ أَصِيدَا

أَجَدَّتْ بَرَجْلِيهَا نَجَاءً وَرَاجَعَتْ

يَدَاهَا خِنَافًا لَيْنًا غَيْرَ أَحْرَدًا

فَأَلَيْتُ لَا أَرْتِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ،

وَلَا مِنْ حَفَى حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدًا

مَتَى مَا تَنَافَى عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ

تُرِيحِي وَتَلْقِي مِنْ فَوَاضِلِهِ يَدًا

نَبِيٍّ يَرَى مَا لَا تَرُونَ، وَذَكَرَهُ

أَعَارَ لِعَمْرِي، فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدًا

لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُغِبُّ، وَنَائِلٌ،

وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعَهُ غَدًا

أَجِدُّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ،

نَبِيِّ الْإِلَهِ، حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدًا

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلِ بِيَزَادٍ مِنَ التَّقَى،

وَلَأَقِيَّتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ،

وَأَنْتَ لَمْ تُرْصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَا

فذهب فلقيه أبو سفيان، وأبو سفيان كان ذلك اليوم مشركًا، وعدوا للرسول

عليه الصلاة والسلام.

قال: أين تذهب؟

قال: للرسول ﷺ.



قال: أنظمت قصيدة؟

قال: نعم.

قال: كم تطمع أن يعطيك؟

قال: مائة ناقة.

قال: أنا أعطيك المائة ناقة وأرجع.

فأعطاه مائة ناقة، وصرفه عن الإسلام، فركب إحداها فوقصته فكسرت عنقه، فمات مشرئاً.

أسأل الله أن يتوفانا على الإيمان.

وأن يهدينا وإياكم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة.

وأن يفقهنا في ديننا.

وأن يشرح صدورنا للإيمان.

وأن يرزقنا الجنة.

وأن لا يحرمنا من رؤية وجهه الكريم.

وأن يسقينا من حوض نبيه شربة هنيئة لا نظماً بعدها أبداً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

كثيراً.

